الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

الكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

العنوان :

الإنية الجزائرية عند مولود قاسم نايت بلقاسم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:

مداني الحسين

إشراف الأستاذ:

د. محمد الشريف الطاهر

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم

عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [سورة الحجرات:

الآية 13]

الاهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين أطال الله في

أعمارهما

وإلى الإخوة الأعزاء، وإلى الأصدقاء رفقاء الدرب

وإلى الأستاذ المشرف، وكل أساتذة قسم الفلسفة

وإلى دفعة التخرج ماستر فلسفة القيم والفلسفة العامة

2015/2016

الحسين

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إنجاز هذا العمل المتواضع، فما كان لشيء أن يجري في ملكه إلا بمشيئته جل شأنه" إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون "

فالحمد لله في الأولى والأخرة

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف محمد الشريف الطاهر، الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته وانتقاداته، والتي أسهمت بقسط كبير في إنجاز هذا العمل، كما أتقدم بالشكر إلى جميع الأساتذة قسم الفلسفة داعيا الله أن يديمهم ذخرا للعلم والمعرفة ،وإلى كل من علمنا أو كل سببا في تعليمنا، كما لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى الوالدين الكريمين أطال الله في أعمارهما وأمدهما بالصحة والعافية، وأيضا أشكر الإخوة الأعزاء وجميع الأصدقاء كل باسمه، ولا يفوتني المقام لأتقدم بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد ، حتى ولو بكلمة طيبة في إبصار هذا العمل النور لكي تدب فيه الحياة.

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

.

الحسين

مقدمـــــة

مقدمة:

لقد برهنت الدراسات النظرية والتجارب العملية معا على أن الهوية هي القوة الرئيسية التي تتولد عنها القوى الأخرى، وهي المنتج المتدفق الذي لا يتناقص رصيده بالإنفاق منه وإنما يتزايد، ومن ثم فهو غير مهدد بالنضوب والجفاف، ولكنه مهدد بأنواع أخرى من المخاطر التي أفرزتها التغيرات حول الصراع الحضارات، بدلا من حوار الحضارات، بهدف فرض نمط قيمي وثقافي ميعن، بدلا من التعاون لتشكيل النموذج الإنساني الراقي.

وهذا التهديد من شأنه أن يدفع بالثقافات الأخرى سواء القومية أو المحلية، لا من أجل الدخول في صراع وحرب الإبادة، وإنما لكي تنتبه وتتفطن إلى خصائص هويتها الحضارية ومنه إلى الحفاظ عليها، وأيضا تنتبه إلى مكمن الضعف بالمعالجة، ورصد الأليات التي بها تستفيد من ثقافة الآخر في ما يخدم ثقافتها الخاصة لإثبات وجودها في هذا العالم.

ولعل **مولود قاسم نايت بلقاسم** (1927م-1992م) من بين المثقفين الذين كانت لهم نظرة ثاقبة، إلى ما يتربص بالثقافة الجزائرية ومحاولة ضربها في صميم مقاتلها، وأيضا إلى الأخطار التي من شأنها القضاء على الخصوصية ومحو المقومات الأساسية التي تقوم عليها الإنية الجزائرية. وباستحضار المعطيات الراهنة للواقع العربي بصفة عامة، والواقع الجزائري بصفة خاصة، ندرك أن طرح إشكالية الهوية أصبح أمرا ملحا أكثر من ذي قبل، نظرا للتحديات التي تفرضها العولمة كنسق للهيمنة والاختراق الثقافي للرموز والخصوصيات الثقافية من قبل القوى العالمية، والتي همها الوحيد هو النفوذ والسيطرة لتحقيق الإدماج وكذا تحقيق المزيد من الأرباح على حساب الدول دون الاكتراث بما يرافق ذلك من عنف وتشويه لهويات الشعوب المغلوب على أمرها، وبالتالي فإن إيجاد حلول ذات فاعلية لهذه الإشكالية تساهم في الحد من وطئه هذا الاختراق وهذا الطمس المعلن لهويات الشعوب ويساهم في تشكيل أليه دفاعية تحميها مما تتعرض له من فتن داخلية قد تعصف بها إلى دوامة لا مخرج منها.

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية العامة للبحث تقوم على مسلمة مفادها: **وجود هوية جزائرية متعددة؟ هل التنوع الثقافي وتعدد الهويات في الجزائر يمكن أن يشكل خطرا على الوحدة الوطنية أم هو إثراء في ظل الوحدة؟ وإذا كانت الهوية واحدة، فما هي المقومات الأساسية التي تقوم عليها الإنية الجزائرية؟.**

ومن منطلق هذه الإشكالية نطرح مجموعة من التساؤلات التي ستكون محاور لبحثنا هذا وهي:

- ما المرجعية الفكرية التي بنى عليها مولود قاسم نظرته للإنية الجزائرية؟
- ما المقصود بمصطلح الإنية لدى **مولود قاسم؟** وما هي أهم المقومات الأساسية التي تقوم عليها الإنية الجزائرية؟
- ما مدى صدي أفكار **مولود قاسم** في ثنائية الأصالة والمعاصرة؟
- ما مستقبل الهوية الجزائرية في عصر الغزو الثقافي والعولمة الكونية؟
- ما هو المشروع الحضاري الذي تبناه **مولود قاسم** لمواجهة التحديات المعاصرة، سواء الداخلية، التنوع الثقافي (الأمازيغ، العرب) فهل هذا التنوع يمكن أن يشكل خطرا على الوحدة الوطنية؟

و نهدف من خلال الإجابة على هذه التساؤلات استشراف مستقبل أفضل للأمة الجزائرية والإسلامية على حد سواء.

المنهج المتبع: من أجل الإجابة على هذه التساؤلات والتحكم في سياق الموضوع استلزم منا اتباع منهجين هما المنهج التاريخي الذي يتماشى وطبيعة الموضوع، ولأجل تتبع أهم المحطات التي برزت فيها **شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم.**

كما اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي الذي تفرضه طبيعة الموضوع، وذلك لتحليل وتفكيك نصوص **مولود قاسم،** ومن ثمة استنباط النتائج والأحكام.

وعلى أساس هذه التساؤلات السابقة ارتأينا أن يقسم البحث إلى ثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: التطورات الفكرية لمولود قاسم، نبحث فيه عن أهم المراحل التعليمة التي كونت فكره، بالإضافة إلى البحث عن أهم المرجعيات الفلسفية والفكرية التي استقي منها **مولود قاسم** أفكاره، والتي كانت له السند في مسيرته النضالية(السياسية، والثقافية).

الفصل الثاني: مقومات الهوية الوطنية عند مولود قاسم، نبحث فيه عن أهم المقومات التي تبناها كركائز وأعمدة تقوم عليها الإنية الجزائرية، و الحجج التي أدرجها لدافع عن هذا التصور.

الفصل الثالث: تحديات الهوية المعاصرة، تطرقنا فيه إلى أهم التحديات التي تواجه الهوية الوطنية في الوقت الراهن، سواء التهديدات الخارجية(الغزو الثقافي، والعولمة)، أو تحدي وحدة الهوية في ظل التنوع الثقافي.

دوافع اختيار الموضوع: هناك العديد من الدوافع التي جعلتنا نتبنى هذا الموضوع سواء **الذاتية** أو **الموضوعية**.

الموضوعية: الانتقال من الطرح الفلسفي المثالي التجريدي الذي اشتهر به البحث الفلسفي الجزائري الحديث، إلى طرح واقعي أي الانتقال من جدالية "**الأنا والفكر**" الذي طغي على معظم المحاولات الفلسفية الجزائرية، إلى جدالية "**الأنا الجزائرية**" التي ضحي من أجلها الجزائريون بالغالي والنفيس، لتحقيقها ولإثبات الوجود المستقل والمميز، وذلك من خلال تحليل أفكار الفاعلين في هذا السياق، ونضالهم من أجل بلورة هذه الشخصية، ونحن سنقتصر على المفكر المرحوم **مولود قاسم نايت بلقاسم**، كأحد أبرز من تعرض لقضية الهوية أو ما اصطلح عليه بالإنية.

استرجاع سؤال الهوية إلى صدارة البحث الفلسفي، بعيدا عن التداول السياسي أو الأيديولوجي، الذي ينتهي إلى مأرب عنصرية وقومية، في ظل التعدد الثقافي وفي إطار الوحدة الوطنية، وهو ما يلخصه مشروع **مولد قاسم نايت بلقاسم**.

الذاتية: لعل من بين الأسباب التي جعلتنا نتبنى هذا الموضوع بالذات لدي هذا المفكر هي أولا المساهمة في إظهار هذه الشخصية إلى الساحة الفلسفية كأحد المفكرين الذين لهم ثقل ووزن معرفي لا يستهان به، ضف إلى ذلك كونه أحد الأعلام الجزائرية المناضلة التي شغلت العديد من المناصب الحساسة في الدولة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كونه ذو ثقافة موسوعية و نشاط فكري راقي وذو نظرة ثاقبة بعيدة الأفق.

صعوبات الدراسة: هناك العديد من الصعوبات التي واجهتنا أثناء بحثنا هذا، نعدد أبرزها:

1. صعوبة استخلاص أراء ومواقف **مولود قاسم**، وذلك لغياب المنهجية العلمية الأكاديمية في التأليف، فمعظم إنتاجه الفكري جاء في شكل مقالات في الصحف والدوريات على غرار مجلة "الأصالة"، أو في شكل محاضرات ألقيت في المناسبات، كالملتقي الدولي للفكر الإسلامي، أو نشرت لمعالجة قضية اجتماعية أو سياسية.
2. قلة المراجع التي تناولت هذه الشخصية بالدراسة والبحث، باستثناء بعض الدراسات الجامعية منها دراسة **تاحي اسماعيل** تحت عنوان "**مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**"، أو أراء بعض الأصدقاء **لمولود قاسم** والتي جمعت في شكل كتاب، تحت عنوان "**الملتقي الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**".
3. طبيعة المؤلفات **مولود قاسم** التي أخذ صبغة تاريخية في مجملها، ككتاب "**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1930**" وكتاب "**ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر**".
4. ضف إلى ذلك أسلوب الكتابة الخاص **بمولود قاسم** والذي امتزج في معظمة بين السجع والتكرار.
5. بإضافة إلى تشابك الموضوع مع بعض تخصصات أخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس.

الفصل الأول : التطورات الفكرية لمولود قاسم

تمهيد

المبحث الأول: مولوده ونشأته وتعليمه.

المبحث الثاني: نضاله ومساهمته في الدولة الوطنية (سياسيا وثقافيا).

المبحث الثالث: الأصول الفلسفية لفكر مولود قاسم (العربي و الغربي).

خلاصة.

المبحث الأول: مولد مولود قاسم نايت بلقاسم ونشأته وتعليمه

تمهيد:

تحيط بمسألة الهوية العديد من الرهانات في الظروف العادية لكل مجتمع، وتزداد هذه الرهانات تعقدا في أثناء الظروف غير العادية، خاصة في فترات التحول التي تمر بها مختلف المجتمعات. من هنا كانت المسألة الهوية واحدة من الإشكالات التي أرقت المجتمع الجزائري باعتباره مجتمع يعيش حالة تحول مزمن إن صح التعبير، نتيجة التقطعات التي عرفتها مسيرته التاريخية بسبب الاحتلال، فالهوية توظف على عدة مستويات سواء على المستوى الفردي وتتجسد الهوية عندما يشعر الفرد بالانتماء إلى جماعة أو على مستوي إنساني بمشاركته في بنية من القيم والمعايير الاجتماعية، ففي هذا المستوى يعتبر الفرد ذاتا فردية ونفسية مرتبطة بالثقافة السائدة وبعملية التنشئة الاجتماعية، وهنا تبرز مسألة الهوية كإحدى أهم المحاور التي أرقت الذات الجزائرية، من حيث الانتماء والتميز والاستقلالية، هنا نجد **مولود قاسم** كأحد المفكرين البارزين الذين كانت لهم رؤية خاصة لهذه المسألة، ولكن قبل التطرق إلى فحوي أفكاره لبد أولا من الإشارة إلى التطورات الفكرية التي مر بها **مولود قاسم** أثناء مسيرته التكونية، وأيضا الإشارة إلى أهم المنابع التي نهل منها فيض أفكاره، بإضافة إلى معرفة سيرته النضالية، سواء قبل أو بعد الاستقلال والإشارة إلى أهم المشاريع والاصلاحات التي أقرها من أجل إعادة إبراز الذات الجزائرية إلى الوجود، هذا الوجود المميز والمستقل الذي يقوم على أسس ودعائم متينه، وهوما سنتطرق إليه في هذا الفصل التوضيحي والتعريفي لهذه الشخصية.

أ- المولد والنشأة :

ولد **مولود قاسم نايت بلقاسم** في السادس من يناير 1927م، في قرية بلعيال، بلدية أقبو بولاية بجاية، أبوه **محمد السعيد** وأمه **حفصة بايموث** وما ميز هذه الأسرة هو كونها أسرة محافظة ومتواضعة في المال والعلم[1]

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم حياته وآثاره شهادات ومواقف**، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 32.

ولكنها عرفت بمناهضتها للمحتل الفرنسي فالجدير بالذكر أن عائلة **مولود قاسم** شاركت في انتفاضة الأخوين **المقراني والحداد** سنة 1871م.[1]

ولقد حملت حالة الفقر والحرمان والد **مولود** إلى الهجرة إلى فرنسا، تاركا وراءه عائلة تعولها سيدة لا حول ولا قوة لها وكان عليها أن تكد من أجل إعانة أبنائها الثلاث، وتعليمهم ريثما يأتي المدد من قبل الوالد.[2]

ب- تعليمه:

التحق **مولود قاسم** بالمدرسة القرآنية بالقرية، شأنه في ذلك شأن باقي أقربائه فعندما يصل الطفل إلى سن الرابعة أو الخامسة يوجه إلى مسجد وذلك للأخذ بمبادئ القرآن الكريم والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم.

وبعد بلوغه سن السادسة انظم إلى المدرسة الفرنسية التي كانت تجبر الأهالي على إرسال أبنائهم أو تفرض عليهم غرامات مالية، فكان **مولود قاسم** يلتحق بالمسجد لقراءة القرآن الكريم في الصباح الباكر وقبل الثامنة يعود إلى المدرسة الفرنسية وهذا ما أكده بقوله :" أتذكر اننا كنا نقوم وقت الفجر لتعلم العربية قبل الذهاب إلى المدرسة، التي كنا نتعلم فيها الفرنسية، المسجد كان مدرسة للكبار والصغار، وفي المساء عند خروجنا من المدرسة الفرنسية إلى المسجد لمواصلة لتعلم العربية وحفظ القرآن الكريم ... "[3]،وهنا نخلص أن **مولود قاسم** تلقى نوعين من التعليم هما:

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم حياته وآثاره، شهادات ومواقف**، مرجع سابق، ص 32.

[2] نفسه، ص 12.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، دار الأمة الجزائر، 2013، ص 528.

- **التعليم العربي الحر**: المتمثل في حفظ القرآن الكريم وتعلم الكتابة العربية.

- **التعليم النظامي الفرنسي*** :لتعليم اللغة الفرنسية، حيث كانت تنتشر هذه المدارس في كامل التراب الوطني، وخاصة في القبائل، منطقة القبائل التي خصتها الإدارة الفرنسية بالتعليم الذي تشرف عليه الإرساليات التبشيرية.

هذا وكانت علامات النبوغ والتفوق بادية على **مولود** منذ الصغر فقد كان كثير الأسئلة والقراءة ،فقد أشار إلى ذلك بقوله: "الفرنسية حيث كانوا يلقنوننا أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وأن أجدادنا هم الغاليون قدماء فرنسا، وكنا كأطفال نتساءل حول ذلك" [1] . فكانت المناهج الفرنسية تستهدف ضرب الهوية الوطنية من لغة وتاريخ وتقاليد وكما أن المعلمون الفرنسيون لا يدخرون جهدا في تسميم أفكار التلاميذ وتشكيكهم في قيمهم الإسلامية والتاريخية، فقد ذكر الأستاذ **محمد الصالح الصديق** أنه في احدى الحصص الدرس قام المعلم الفرنسي برسم صورتين على السبورة إحداهما لرجل مصفف الشعر، أنيق الملبس وقد أدخل يديه في جيبه، والصورة الثانية لرجل أعرابي أشعث الشعر ممزق الملابس وفي يديه عصا يتوكأ عليها، فقال المعلم للتلاميذ انظروا إلى الصورتين وتأملوهما ،فأشار إلى الصورة الجميلة إنها للمسيح وأن الصورة المشوه والقبيحة هي صورة **محمد صلى الله عليه وسلم** فسكت الجميع فنطق **مولود** قائلا :"أنا مع هذا الأعرابي الأشعث وعندما سأله" [2]، سأله المعلم عن ذلك، أجابه **مولود**: "عنده زاد لا يجوع من اتبعه وعنده عصا لا يخاف من كان معه"[3]

* هذا النوع من التعليم يخدم الأهداف الفرنسية الرامية الى إدخال مضامين وأفكار وذلك لإعداد أجيال جزائرية تعمل في نفس عقلية القابلية لاستعمار وتؤمن بأيديولوجيته وتتبني أفكاره وهوما صرح به أحد الوزراء الفرنسيين سنة 1914م قائلا: " يجب تعليم الجماهير الإفريقية من أجل المصلحة الاقتصادية ينظر، دولتر روديني أوربا والتخلف في افريقيا ترجمة أحمد صقر، مراجعة أبراهيم عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب بالكويت 1988.

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ، جامعة الحاج لخضر، الجزائر،2007،ص 13.

[2] نفسه، ص 13.

[3] نفسه، ص 14.

وبعد إكمال **مولود قاسم** المرحلة الابتدائية انتقل إلى زاوية **سيدي يحي العبدلي** الواقعة بثا مقرا، إذ كان شيح الزاوية هو الشيخ الجليل **الطاهر آيت علجت** الذي كان شيخا في الفقه والوطنية، فأكمل **مولود** حفظ القرآن الكريم في مدة قصيرة، وأخذ عن الشيخ **محمد الطاهر آيت علجت** الفقه والصرف والحساب والتاريخ والجغرافيا[1].

وبغية إكمال مساره الدراسي، اتجه مولود نحو مدرسة التربية والتعليم بقلعة بني عباس التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تلقى تعليمه على يد الأستاذ **الصالح بن عتيق**، فتلقى هناك قواعد اللغة العربية وأسلوب الخطابة وتعمق أيضا في الفقه الإسلامي، فكانت هذه المرحلة _حسب مولود_ المرحلة التي صقلت فيها شخصيته وثقافته فكللت جهوده في هذه المدرسة بالنجاح وهوما دفعه إلى التفكير في الانتقال إلى تونس لإكمال دراسته بجامع الزيتونة الأعظم.[2]

فقد كان جامع الزيتونة قبلة الجزائريين المتخرجين من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقصة انتقاله إلى تونس يرويها هو نفسه قائلا: " ثم سافرت إلى تونس بيانير 1946 لمواصلة الدراسة بجامع الزيتونة وأذكر أني قطعت الحدود بين تبسة وقالة بتونس ليلا على البغال مع تجار السوق السوداء "[3]، فحالفه الحظ ووصل إلى تونس ونجا من رقابة حراس الحدود الذين كانوا لا يرحمون المتسللين إلى تونس فتبعدهم قصرا إلى مواطنهم وتسلط عليهم أقصى العقوبات المادية والمعنوية.

وفي تونس انكب **مولود قاسم** على التحصيل والتزويد بمختلف العلوم والمواد التي كانت تدرس بالجامع الأعظم بالإضافة إلى مزاولته الدراسة انخرط **مولود قاسم** في صفوف حزب الشعب الجزائري للطلبة حيث تميزت

---

[1] عبد الغني بو السكك: **راهنية الهوية عند مولود قاسم، أشغال الملتقى الوطني الثاني: الكتابة الفلسفية في الجزائر الواقع والآفاق**، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، الجزائر، 2015، ص209.

[2] محمد الشريف قاهر: **مولود قاسم نشأته وتكوينه، المتلقي الوطني لتكرير المفكر المرحوم الاستاذ مولود قاسم نايت** ،منشورات مجلس الاسلامي الأعلى، 2005، ص 45.

[3] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 15.

فترة إقامته بتونس بالعطاء والحيوية والنشاط، فقد كان **مولود** دائم الحضور في المنتديات التي كان يقيمها الطلبة الجزائريون كل خميس والتي كانت تتطرق إلى العديد من المواضيع سواء أدبية أو أخلاقية أو سياسية وهذه الأخيرة هي التي كانت تجذب اهتمامه أكثر فقد كان جل اهتمامه القضية الجزائرية وما يعانيه الجزائريون جراء الممارسات الاستعمارية القائمة على الاضطهاد وإهانة المقدسات من دين ولغة [1]، كان **مولود** يرجع إلى أرض في العطل الصيفية وهو يتقد حماسا ووطنية إذ كان يدعوا سكان القرية إلى رفض الوضع القائم وضرورة النضال وطرد المستعمر.

وهذا التحريش لم يمر مرور الكرام على السلطات الفرنسية، حيث ألقت عليه القبض وسجن في العديد من المرات وفي احدى المرات حضر محاكمته **الحاج يحي دعيوز** في محكمة أقبو حيث يروي **الحاج يحي دعيوز**: أن القاضي لما نظر إلى **مولود** وهو في قفص الاتهام فاستصغر جسمه النحيف واحتقر حاله وشكله ولباسه البسيط فقال: "أمثل هذا الديك الحقير يقلق راحة الآمنين من العمال والفلاحين ويزعج السلطة والحكام؟ قال: فأجابه **مولود** بكل شجاعة وبداهة وضبط نفس قائلا :"لا تنسى أيها القاضي الحاكم أن الذي يوقظ الناس النائمين عندنا في القرى هو الديك، فهو مؤذنهم ومخبرهم بنهاية الليل وبداية النهار وبانقشاع الظلام وبطلوع الفجر" [2].

ورغم الصعوبات التي تلقها **مولود قاسم** أثناء دراسته في تونس ألا أنها تكللت بالنجاح والتفوق فقد حصل على شهادته بتقدير جيد جدا وكان ذلك سنة 1949م.

وبعدها انتقل إلى فرنسا سنة 1949م، حيث درس هناك مناهج المستشرقين، كما كان عضوا ناشط في اتحادية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية حتى سنة 1950م [3].

---

[1] محمد الشريف قاهر: **مولود قاسم نشأته وتكوينه محاضرات الملتقي الوطني لتكريم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص 44.

[2] نفسه، ص ص45-46.

[3] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 15.

ثم انتقل **مولود قاسم** إلى مصر بدعوة من قبل **الشاذلي المكي** ممثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية بمصر لدراسة الطيران العسكري بالعراق، هذا من أجل تحضير شباب الجزائر لخدمة القضية الوطنية ولكن سرعان ما حصل خلاف بين البلدان العراق ومصر مما اضطر مولود إلى الاستقرار وإكمال الدراسة بجامعة الملك فؤاد وهوما يقوله **مولود**: **"**ففي تلك الفترة استدعيت لدراسة الطيران العسكري بالعراق ولكن أثناء تلك المدة حصل خلاف بين البلدين وقطعت العلاقات الدبلوماسية بينهما وعوضا من أن أدرس الطيران الذي انتقلت من أجله من باريس إلى المشرق العربي التحقت بكلية الآداب جامعة القاهرة حاليا لأدرس الفلسفة**"** [1].

وهناك استقر **مولود** لدراسة الفلسفة على يد نخبة من الأساتذة الموهوبين، أمثال الدكتور **زكي نجيب محمود**، و**عبد الواحد وافي** وكذلك الأستاذ **عثمان آمين**، هذا الأخير الذي كان شديد الأثر في شخصية **مولود**، فقد أخذ عنه الحماس والفضول وحب اللغة والتفتح على الثقافات الأجنبية ومنه استمد شعار "الإنية" الذي غدا أهم الشعارات التي يتغنى بها **مولود قاسم** في كل المؤتمرات والملتقيات .

وكما هو الحال أظهر **مولود** في جامعة القاهرة قدرة كبيرة على التحصيل والتفوق، فقد قطع سنوات الدراسة في الليسانس بامتياز، إذا كان الأول في دفعته زكان الوحيد من الطلبة الجزائريين في قسم الفلسفة وهوما يؤكده يقوله: "وحصلت على الليسانس في الفلسفة في يوليو1954م بدرجة امتيار ،واسمحوا لي ألا أكون متواضعا وأقول أني كنت الأول في الدفعة وكنت الجزائري الوحيد في قسم الفلسفة مع إخوان مصريين ولبنانيين"[2].

وبعد هذا النجاح الباهر غادر **مولود قاسم** القاهرة متجها نحو فرنسا وتحديدا إلى جامعة السوربون، فسجل في قسم الفلسفة للدراسات الشرقية بموضوع "الحرية عند المعتزلة " تحت إشراف الأستاذ **دوغونديالك** بغية نيل شهادة الدكتوراه دولة، ولكن الظروف كانت أقوى من **مولود** مما اضطره إلى إلغاء مشروعه، لأنه تزامن مع

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم** ،مرجع سابق، ص 15.

[2] نفسه، ص 16.

اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م، فكانت المهام الوطنية تلزمه أكثر من دراسته، يقول: "فكنت اشتغل في نفس الوقت لسد حاجياتي المعيشية بسفارة العراق أندلك وأؤدي واجبي في إطار الجبهة إلى أن أعلنا الاضراب بتكليف من الجبهاء" [1].

ونظرا للمضايقات التي يتعرض لها مناضلو الجبهة في فرنسا دفع الحال **بمولود** إلى أن يغادر الأراضي الفرنسية متجها نحو "تشيكوسلوفاكيا" في "براغ" سنة 1956م، لكنه لم يمكث طويلا لأنها كانت تدرس الفلسفة الماركسية وبالتالي لا تلبي توجهه الفلسفي مما دفعه إلى الرحيل سنة 1957م متجها نحو ألمانيا الغربية وتحديدا في بون حيث سجل هناك رسالة للدكتوراه تحت موضوع "الحرية عند كانط"، غير أن الأحداث السياسية والقضية الوطنية دفعته مجددا إلى الانقطاع عن الدراسة والتفرغ للتعريف بالقضية الوطنية في المحافل الدولية .

المبحث الثاني : نضاله ومساهمته في الدولة الوطنية (سياسيا وثقافيا).

أ. **نضاله السياسي :**

يعتبر العلامة **مولود قاسم** من عمالقة الفكر الجزائري ومن كبار العلماء الذين انجبتهم الجزائر في القرن المنصرم فهو رمز من رموز الثقافة الجزائرية واحد رواد الكفاح والنضال الجزائري

تميز بعبقريته وفكره الواسع العميق وغيرته على ثوابت الأمة الجزائرية، كما اتسم بشخصيته القوية فقد قضى حياته في مدافعا عن وطنه وقيمه يخوض المعركة تلوى الأخرى في سبيل ترسيخها، كما قدم خدمات جليلة للثورة التحريرية حينما كان دبلوماسيا يجوب مختلف دول أوروبا فقد تقلد العديد من المناصب السياسية المرموقة ،إذ بدأت مسيرته النضالية منذ ان كان طالبا في جامع الزيتونة بتونس بعد انضمامه إلى صفوف حزب الشعب الجزائري منذ شهر سبتمبر 1946م، ومن هنا كانت انطلاقته الثورية التي تقلد فيها العديد من المناصب والتي سنذكرها بتسلسلها الزمني :

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم** ،مرجع سابق، ص 16 .

- عضو لجنة اتحادية حزب الشعب للطلبة الجزائريين في تونس (1947-1949م).
- عضو مداومة لجنة اتحادية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في باريس (1949-1950م).
- مناضل مع الوفد الدائم لحزب الشعب الجزائري في القاهرة (1950-1954م).[1]
- مناضل في جبهة التحرير في باريس (ديسمبر 1954م_1956م) إلى جانب الدراسة لأعداد دكتوراه الدولة في الفلسفة في السربون قبل الاضراب في مايو(1956م).
- مناضل وطالب بجامعة براغ (تشكوسلوفاكيا) (ديسمبر 1956م_ابريل 1957م).
- مناضل وطالب بجامعة بوز لإعداد الدكتوراه في الفلسفة وموظف بمكتب جامعة الدول العربية (أفريل 1957م-مايو1958م) [2].
- نائب رئيس الوفد الدائم في بون للجنة التنسيق والتنفيذ للجبهة في كل من ألمانيا ،النمسا ،هولندا (مايو1958م-أفريل 1961م).
- نائب رئيس الوفد الدائم للحكومة المؤقتة في استوكهولم (ديسمبر 1961م).
- مدير مكتب الأمين العام للمكتب السياسي بالشؤون الدبلوماسية منتدب من وزارة الشؤون الخارجية (نوفمبر 1962_افريل 1963م).
- رئيس قسم البلدان العربية بوزارة الشؤون الخارجية مارس 1964م.
- مدير الشؤون السياسية بوزارة الشؤون الخارجية ووزير مفوض سبتمبر (1964 إلى أفريل 1966م)[3].
- كما تقلد منصب مستشار سياسي وديبلوماسي في الرئاسة منتدبا من الخارجية إلى الرئاسة يطلب من الأخير(أفريل 1966م يونيو1970م).

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، 12.
[2] نفسه، ص 12.
[3] نفسه، ص 13.

- وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية يونيو1970-1977م.
- وزير لدى الرئاسة مكلف بالشؤون الدينية 1977-1979م.
- عضو اللجنة المركزية ،مستشار بالرئاسة 1979-1983م [1].
- وتقديرا لجهوده الكبيرة وفكره العميق وأعماله الجليلة فقد عين عضوا في الأكاديمية الأردنية للغة العربية سنة 1988م.
- عضو مراسلا للأكاديمية السورية للغة العربية 1992م.

بناء على هذا يعد **مولود قاسم** بحق المفكر الضليع في الفلسفة واللغات، والمصلح المتبحر في علوم الدين والسياسي المحنك، والدبلوماسي والمتمرس والمناضل العنيد في سبيل القضية الوطنية والباعث المشروع الحضاري وبالعودة إلى تبسيط حركته النضالية فقد كان عمله كسياسي يرتكز أساسا في المقام الأول على شرح واقع الاستعماري في الجزائر أو بمعنى أدق فضح الاعمال الاستعمارية في الجزائر ،هذا الواقع الذي تميز بالظلم والاستبداد والاستغلال اللاإنساني للجزائريين.[2]

ولكن رغم الصعوبات التي واجهت **مولود** أثناء قيامه بدوره الدبلوماسي والسياسي إلا انه تميز بقدرته الهائلة على الاقناع والحجاج، وبعد تحقيق النصر على المستعمر هذا النصر الذي كان صداه كبيرا في الإذاعات والصحف في العالم العربي والأوروبي، مما سمح بعودة إطارات الثورة واللاجئون والمبعدون لمشاركة الأمة فرحتها.

كما اقتضت ضروريات العمل بقاء **مولود قاسم** في الخارج لفترة وبعد مرور أربعة أشهر عاد **مولود** منتصرا لإكمال رسالته التي كان قد بدأها يوم تسلله عبر الحدود التونسية هاربا من بطش الاحتلال والعنصرة الفرنسية[3].

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 13.

[2] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 67.

[3] نفسه، ص 67.

وبعد خروج الاستعمار خلف وراءه فراغا رهيبا في كافة الاقطاعات الصناعية والاجتماعية والثقافية وهذا الفراغ الذي يدعم المقولة الفرنسية القائلة: **"يعجز الجزائريين عن إدارة دفة الدولة الجزائرية المستقلة حديثا "**، وإذا كانت مثل هذه الأطروحة المغرضة، الهدف منها هو النيل من قدرات الجزائريين الذين ارغموا اقوى واعنى قوة من ذلك العهد على الخروج من بلادهم، فقد أخذوا على عاتقهم إعادة بعث الدولة الجزائرية من جديد.[1]

فما من بلد عربي أصيب من الاستعمار بمثل ما أصيبت به الجزائر وما من بلد تألم بالقدر الذي تألمت به الجزائر من هذا الاستعمار وما من بلد من البلدان المبتلاة بالاستعمار ويشعر بالحاجة الماسة إلى استعادة هويته الكاملة بعد مائة واثنين وثلاثين عاما من السيطرة الفرنسية المحكمة ويعمل بهذا الجد والحماس لتحقيق ذلك كالجزائر.[2]

وبعد كل الصعوبات التي واجهت رجال السياسة والمثقفين والمناضلين إلا أنهم استطاعوا ان يديروا دفة الدولة وبمساعدة الدول الشقيقة والصديقة، فاستطاعت بذلك أن تضمن السير الحسن للعديد من المؤسسات العامة في الدولة.

وعلى هذا الأساس كان مولود يحاول بكل ما يمتلك من قوة وإرادة أن يوجه القيادة اتجاها إسلاميا عربيا ووطنيا مستغلا العصرنة للسيطرة على التنمية ولمواجهة العدو الخارجي وتقدمه التكنولوجي.[3]

وبجانب هذه المهام تولي إدارة وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في جوان (1970 إلى أفريل 1977م).

وقد عمد في الفترة إلى إرساء العديد من الإصلاحات وإنشاء العديد من المشاريع نذكر منها :

- برمجة التعليم الأصلي.

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 68.

[2] سيغريد هونكه: **من الاستيلاب الى استرجاع الإنية**، ملتقى الفكر الإسلامي الأول، الجزائر، 1976، ص 396 .

[3] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 70.

- إقامة ملتقيات الفكر الإسلامي .
- انشاء الجامعة الإسلامية .
- إصدار قانون التعريب .

بالإضافة إلى توليه بعض المناصب أخرى بعد تنحيه على رأس وزارة التعليم، حيث عين وزيرا مكلفا بالشؤون الدينية ما بين (1977-1979) كما عين عضوا للجنة المركزية ومستشار بالرئاسة ما بين (1979-1983) ثم عين بعد ذلك عضوا للجنة المركزية أمانتها الدائمة بالمجلس الأعلى اللغة العربية سنة 1984م.[1]

وبعد رحلة ماراطونية جاب فيها **مولود** مشارق الأرض ومغاربها والتي تعرض فيها إلى لعديد من الصعوبات والمشاكل، إلا أنها لم تثنى من عزيمة الرجل ونضاله حتى أحيل إلى التقاعد سنة 1990 لكنه لم يركن إلى الراحة والسكون بل ظل متمسكا بمبادئ حيث أنتخب عضوا عاملا في المجمع اللغوي في دمشق سنة 1992ولكن تشاء الأقدار أن يلتحق بالرفيق الأعلى بعد أشهر قليلة من تعينه والذي صادف يوم (27 أوت 1992م)[2].

وبالرجوع إلى نضاله السياسي فقد واصل هو الآخر نضاله السياسي والدبلوماسي في ظل الدولة الوطنية المستقلة، فانتدب أول مرة لدى الجهاز المركزي لحزب جبهة التحرير الوطني، وبعدها عين مديرا لدوان **محمد خيضر** من نوفمبر 1962م إلى أبريل 1963م، وبعدها عاد **مولود** إلى عمله الأول في الخارجية حيث أوكلت له مهمة الإشراف على قسم البلدان العربية في وزارة الخارجية سنة 1964م.

وبتوالي النجاحات بالنسبة للدبلوماسية الخارجية تحت قيادة **مولود قاسم**، مما دفع برئاسة وزارة الخارجية إلى تعيينه وتكليفه بإدارة كل أقسام الشؤون السياسية الشؤون السياسية بوزارة الخارجية ثم وزيرا مفوضا إلى غاية أبريل 1966م.[3]

[1] أحمد نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 13.
[2] نفسه، ص 13.
[3] نفسه، ص13.

وبعد انقضاء ثلاث سنوات وهو على رأس الخارجية، عاد **مولود** إلى أجهزة الرئاسة فشغل منصب مستشارا دبلوماسي وذلك من 1966 إلى 02 جوان 1970م، وفي هذه الفترة كان دائم الترحال مع الرئيس الراحل **هواري بومدين** أين ما حل وارتحل ،إذ كانت مهمته تقوم على إعداد الخطابات له، وهوما يؤكده الأستاذ **بوعلام حمودة** بقوله: "حضرت بمعية الأخ مولود قاسم خطابا عرضناه على الرئيس الراحل هواري بومدين في منزله، ولما وصلنا إلى الفقرة التي تنص على إن التشريع الجزائري يجب أن يستمد من أساس في المستقبل من الإسلام، فسألنا الرئيس: أيجب ان نشير إلى ذلك ؟ فقلنا له نعم، لأن تصريح نوفمبر 1954 م ينص على ذلك فبقيت الفقرة كما هي في النص المقترح.[1]

وبناء مواقف لها ما يرتكز عليها من أدلة وبراهين مما أتاح له الفرصة ،أثناء قيام الحكومة المؤقتة بإجراء المفاوضات مع الدبلوماسية الفرنسية، والتي دامت أكثر من 20 شهرا (25 جوان إلى 18مارس 1962م) والتي تعرضت خلالها الدبلوماسية الجزائرية إلى مناورات ومساومات وأيضا اختلاف في وجهات النظر حول محتوى الاستقلال وشكله وطبيعته وحول بقاء القواعد العسكرية وإجراء التجارب النووية في الصحراء الجزائرية.[2]

هذه الأخيرة التي كانت محور المفاوضات التي اقترحت الاستقلال مع الاحتفاظ بالصحراء الجزائرية لفرنسا. كل هذا السجال دفع بالدبلوماسية الجزائرية إلى الاستعانة **بمولود قاسم** و**محمد الصديق بن يحي** و**محمد يحياوي**، إذ كلف **مولود** بإعداد بحث حول الصحراء الجزائرية، عندما أثارت فرنسا شكوكا حول شرعية تبعتها للوطن الأم الجزائر، وذلك للرد على ادعاءات **لويس جوكسن** و**جورج يومبيد** هذا الأخير الذي قال عنها: " إنها بحر له سواحل تسكنها شعوب ساحلية والجزائر واحدة من هذه الشعوب وعلى فرنسا أن تستشير الجميع".[3]

---

[1] بوعلام بن حمودة: **الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص111.

[2] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 65.

[3] بن يوسف بن خدة: **شهادات ومواقف**، ط2، دار نعمان للطباعة والنشر ، الجزائر، 2001، ص 106.

ونتيجة للعديد من اللقاءات بين الدبلوماسيين افضت إلى افتكاك توفق الدبلوماسية الجزائرية، مما دفع بإصدار قانون إيقاف القتال في 19 مارس 1962م، والذي اعقبته العديد من التدريبات والاعدادات والتي استكملت بإجراء استفتاء تقرير المصير في01 جويلية 1962 وفي الخامس من نفس الشهر أعلن عن استقلال الجزائر ،واسترجاع السيادة الوطنية.[1]

ب. نضاله الثقافي:

لقد كان العمل الثقافي والفكري من صميم ما أسندته الثورة إلى الأستاذ **مولود قاسم** ،بإضافة إلى نشاطه السياسي وزيادة على ذلك الدور الإعلامي والنشاط الدبلوماسي الذي انخرط فيه، كل هذا كان يقتضي من المناضل **مولود قاسم** أن يعمق زاده ويوسع من ثقافته ومن دائرة معارفه ، الأمر الذي يعود عليه بالفائدة من حيث تأصيل الرؤية ومن حيث توفير الحاجة الفكرية والتصورية التي مكنته من بلورة صورة للمستقبل والهيئة التي يشيد عليها صرح الوطن في ظل الاستقلال .

وهذا هوما وقع **لمولود** إذ وجد نفسه ومنذ فجر الاستقلال يتواجه مع أوضاع مزرية في كل القطاعات الحيوية في الدولة الوطنية الحديثة .

بإضافة إلى الخيرات العشوائية والمواقف المغرضة الموجهة من الخارج ،وجد **مولود قاسم** نفسه وهو المثقف الذي عاد إلى ارض الوطن وذهنه مشحونة بالأفكار والتصورات والتجارب المهيئة لأن توضع قيد التنفيذ فكل هذه الأفكار كانت ذات ارتباط موضوعي فهي تستند إلى أرضية صلبة وإلى صلة بالماضي القومي وتحدد ملء صدره نسبه للجزائر وانتمائها ومقوماتها.

وبهذا الصدد قامت الجزائر بثورة عملاقة مست ثلاثة قطاعات حساسة في الدولة هي :

_الثورة الصناعية

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 67.

_الثورة الزراعية

_الثورة الثقافية.[1]

وهذه الأخيرة التي كان الهدف منها الرفع المعنوي للشعب الجزائري الذي ظل طيلة فترة طويلة من الاستعمار محروما من التعليم والتكوين، وهذه الثورة قامت على قواعد وأسس وهي :

1- العمل استرجاع مكونات الشخصية الجزائرية من خلال إزالة وأثار ومخلفات الاستعمار والثقافات الأجنبية.

2- **التعريب**: وهو جعل العربية لغة التعليم في سائر مراحل وفي المناهج والكتب.

3- **ديمقراطية التعليم**: أي إتاحة التعليم للجميع دون استثناء بالإضافة إلى تعميم المدارس في كل انحاء الوطن.

4- **التوجه العلمي والتكنولوجي** : وهو جعل الجزائر تواكب التطور من خلال التركيز على الأسلوب العلمي في التعليم.[2]

كل هذه الإجراءات كان الهدف منها أعادة بعث مقومات الهوية الوطنية ،ولعل وأهم ما قام به **مولود قاسم** وهو أحد المثقفين الذين تحملوا مسؤولية إعادة بعث الهوية الوطنية ،وهي نفس الفكرة التي أكد عليها **الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي** في مقال له تحت عنوان "واجب المثقفين نحو الأمة بقوله : "المثقفون هم خيار الأمة وسادتها وقادتها، وحراس وعزها ومجدها، وتقوم الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، ويقومون هم بواجب القيادة والتدبير.[3]

وهوما دفع بالأستاذ **مولود قاسم** إلى بعث مشروعه الحضاري الذي يضم ثلاث نقاط رئيسية هي:

---

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 73.

[2] نفسه، ص74.

[3] محمد البشير الإبراهيمي: **واجب المثقفين نحو الأمة، محاضرات ملتقي الفكر الإسلامي التاسع عشر**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، ص 174.

_التعليم الاصلي

_ ملتقيات الفكر الاسلامي

_ التعريب

1. التعليم الأصلي:

ورثت الجزائر عشية الاستقلال منظومة تعليمية هشة مزدوجة بين التعليم الفرنسي والتعليم العربي الحر، فالمدرسة الفرنسية كانت تلقن مرتديها تعليما فرنسيا لا يختلف عن التعليم المطبق في فرنسا من حيث المناهج واللغة والتشريعات، ولم يكن هذا التعليم يتوافق مع مقومات الأمة الجزائرية بوصفها أمة عربية إسلامية، كما أنه لا يخدم تطلعات الشعب الجزائري الباحث عن استرجاع الكرامة والثقافة العربية الإسلامية.[1]

أما النوع الثاني فهو التعليم الحر الموروث من عهد الحركة الوطنية مثل المدارس جمعية العلماء المسلمين التي كانت منتشر هنا وهناك بالإضافة إلى المدارس بعض الأحزاب كحزب الشعب الجزائري بالإضافة أيضا إلى الزوايا والطرق وهي المنتشرة بكثرة في الأرياف والارياف ولهذا عمل **مولود قاسم** إلى إعادة بعث الهوية الوطنية بمختلف مقوماتها وذلك لا يتأتى الأمن من خلال مشروع جذوره عقائدية دينية متأصلة في الأمة ترسم لها أسلوب العيش وتنطلق منها أفكاره وتقوم على أساس ديني يمكن من خلاله للإنسان أن يسير فوق أرضية ثابتة ووفق رؤية واضحة تحميه من الضياع، ولأن الدين في مفهوم الإسلام يدفع الإنسان إلى التفكير الحر وينبذ الجمود والخمول والتعصب، ومن هنا جاءت فكرة التكامل بين الدين والعلوم الحديثة والتي من شأنها صياغة منظومة إسلامية تربوية إسلامية تتماشى والعلوم الحديثة وتستجيب لتطلعات الأمة ومنه جاءت فكرة التعليم الأصلي الذي انتشر وازدهر في سائر الولايات .

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص70.

هذا التعليم الذي كان يتصوره **مولود** مدخلا ممهدا لإنجاز علمي أخر أوسع أفقا بحيث كان يشمل كل مراحل التكوين وجميع التخصصات العلمية، حيث كان **مولود** يقول بأن التعليم الأصلي في الثانوية لا يتأتى ثماره إلا إذا تم تتويجه بالتعليم العالي في جامعة شاملة وكاملة الكليات "لجامعة إسلامية شاملة وكاملة الكليات بمختلف أنواعها من الكليات التقليدية ككلية أصول الدين وتاريخ الأديان المقارن وكلية التشريعية وكلية اللغة العربية والكليات الأخرى الحديثة ككلية العلوم وكلية التجارة والزراعة وكلية الهندسة كلية الطب".[1]

والملاحظ هو انتشار هذا النوع من التعليم الجديد في كامل التراب الوطني وأقضى إلى نتائج جد ممتازة في كل التخصصات وهوما يؤكده الأستاذ **المأمون القاسي** إذ يقول عن هذه المدارس: "وأصبحت هذه المؤسسات تخرج سنويا مئات الإطارات المكونة تكوين جيد بدأ الفرق يظهر بشكل واضح بين هذه الفئة من الخرجين وخرجي التعليم العام سواء في الجامعات أوفي ميادين العمل.[2]

2. ملتقيات الفكر الإسلامي:

لعل أبرز مجال تألقت فيه شخصية **مولود قاسم** وظهرت فيها ثقافته الواسعة ونشاطه العلمي هوما لخصته ملتقيات الفكر الإسلامي التي أبدعها والتي جاءت من أجل تحريك الحياة الثقافية، فكانت بدايتها الأولى في الجزائر العاصمة بتاريخ 24 ديسمبر 1968م وهي الفترة والتي كان فيها **العربي سعدوني** وزيرا للأوقاف والذي أشرف على ثلاثة ملتقيات للفكر الإسلامي، إذ عالجت العديد من القضايا والمواضيع الهامة كمشاكل المجتمع المعاصر والإسلام والحضارة إلى غيرها من المواضيع إذ كان آخرها في 26 ديسمبر إلى 01 جانفي 1970م ولكن بعد تسليم **مولود قاسم** وزارة الأوقاف طلب من الرئيس **لهواري بومدين** تغير اسمها من وزارة الأوقاف إلى وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية [3].

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة** ، مصدر سابق، ص428.

[2] عبد الكريم بكري: **الملتقى الوطني لتكريم المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص165.

[3] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص75.

وبعد مرور شهرين من استلام **مولود قاسم** لوزارة بادر بإعلان عن عودة سلسلة الملتقيات للفكر الإسلامي وهذه المرة كانت صاحبة الشرف مدينة قسنطينة في الفترة الممتدة من 10 أوت إلى 19 أوت 1970، حيث حضر الملتقى أكثر من 600 طالب وأكثر من 26 عالما ومفكرا من مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي، على غرار **مالك بن نبي** و**عثمان آمين**.

ومن خلال هذه الملتقيات أصبحت الجزائر مرتكزا لإشعاع الإسلامي الروحي والعلمي وفي هذا السياق يقول **مولود**: "لقد دعونا أساتذة من الجامعات وباحثين من العالم أجمع معروفين بتأليفهم وبنشاطهم العلمي، وفدوا ومن جميع أطراف العالم، وبمعنى آخر من مجموع العالم الإسلامي الذي يمتد صور الصين العظيم في المحيط الأطلسي"[1].

والجدير بالذكر أن **مولود** قد نضم تسعة ملتقيات وهو على رأس وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية إلى الملتقى الثاني عشر الذي حضره ليس كوزير بل كمستشار للرئاسة [2].

فقد كان الدور المنوط به مولود قاسم سواء كان في افتتاح جلساته أو اختتام الملتقيات كما كان ايضا يتدخل في كل المواضيع والمناقشات والتعليق كما كان يشرف أيضا على نشر محاضرات الملتقيات ويتولى تصحيح الخطأ فيها قبل أن يتم طباعتها[3]، في هذه النقطة عابه عليها المرحوم **أبو القاسم سعد الله** إذ اعتبر أن هذه الملتقيات ماهي إلا مصدر من مصادر الدخل للدولة هذا من جهة، كما انها كانت فسحه يستعرض فيها مولود قاسم عضلاته اللسانية والفكرية، فقد كان لا يتدخل مفتتحا، أو مختتما فقط، بل معلقا ومحبذا ورافضا ومضايقا، حتي أنه قد يصل به الأمر إلى أن يطلب من أحدهم التوقف عن الكلام أو يجلس أحد الواقفين[4]

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص76.

[2] نفسه، ص 76.

[3] نفسه، ص83.

[4] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص ص204- 203.

ولعل المغزى والهدف من هذه الملتقيات هوما قاله مولود قاسم: "أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أدبي مصره ودون أن يصبح نسخة غيره"، والتي تعني الأنية والأصالة مع ضرورة التطور والتفتح على الأخر وعلى ما يجري في العالم فالسكون في رأيه موت وفناء، والتفتح يجب أن تنطلق من الأصالة ويعود إليها، فالأمة التي تنفصل عن ماضيها وثرائها هي أمة تحفز نفسها وتصبح حتما ذلا لغيرها.

3. التعريب:

يعتبر مولود قاسم بحق رجل التعريب الأول وهذا ليس راجع لعجز عن استيعاب اللغات الأخرى، فهو الذي لف نصف العالم ولم يكن يوما في حاجة إلى مترجم في طول أوربا وعرضها ،حيث كان عصامي التكوين مما أتاح له التمكن من سبع لغات عالمية إضافة إلى أخرى قومية ،لكن رغم هذا فقد أخذت اللغة العربية حيزا مرموقا لعدة اعتبارات، منها أنها لغة القرآن الكريم وأنه نشأ على حبها وتعلق بها منذ الصغر فيها حفظ القرآن وتلقي تعليمه، كيف لا وهي عنوان الهوية ودليل الوجود والرمز المميز بين الأمم [1].

إذا كانت اللغة هي أهم عنصر من عناصر الأنية والهوية والتي أولاها مولود أهمية بالغة في كتاباته كما عمل أيضا على تعميم استعمالها في جميع المؤسسات الإدارية في الدولة، وهوما دفعه إلى اصدار قانون في 26 أفريل 1968م، الذي يشترط استعمال اللغة العربية في المؤسسات الإدارية، كما ينص أيضا على أنه لكل مترشح لوظيفة ما في الدولة أن تكون له معرفة بالغة الوطنية بصفة خاصة[2].

كما أدرج مولود قاسم العديد من القرارات الأخرى كقرار تعميم استعمال اللغة العربية في جميع التخصصات العلمية.

وهنا يؤكد مولود قاسم أن استعمال اللغة العربية يكون مصحوبا بكثير من الحزم والعزم والجزر وهذا من أجل محور واسب الاستعمار الفرنسي الذي جاء بالثالوث الأخر وهو المسح والفسخ والنسخ .

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص87.

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص113.

كما يؤكد **مولود قاسم** من جديد على ضرورة تعريب المحيط أي المجتمع والذي يقول فيه: "بالنسبة للمحيط نكتفي بالقول أن هذا العنصر هام جدا، لأنه أحد الوجوه الخارجية لهذه العملية والإطار الذي سبح فيه المواطن والزائر أو المقيم الأجنبي".

لهذا كان **مولود** يدعوا ويكرر دعوته إلى ضرورة تعريب الأمخاخ قبل تعريب الألسنة كما يقول :"إذا أردنا التعريب فعلينا بتطهير الأدمغة وتصفية القلوب فقبل تعريب الأمخاخ والقلوب لا يمكن لنا النجاح في تعريب الألسنة [1]، ولذلك جاءت دعوته لتعريب المحيط بفرض العربية على جميع المكاتب الإدارية والمحلات التجارية وأسماء الشوارع وأيضا تعريب كل الوثائق الإدارية .

وما يمكن قوله هو أن جميع ما عرفته القطاعات التعليمية والإدارية وغيرها من تقدم كبير في ميدان التعريب والتأصيل ما كان له أن يتم لولا مساهمة **مولود قاسم** في انجاحه بما عمل على التأسيس العلمي والأكاديمي لمناهج التعريب وإصدار القرارات على المستويات العليا في الدولة والتصدي لكل معرقل أو مثبط لهذه المسيرة الحضارية اللغوية الكبرى التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال[2].

المبحث الثالث: الأصول الفلسفية لفكر مولود قاسم نايت بلقاسم

إن أهم مسألة من المسائل التي لا يمكن الاستغناء عنها والتي تعد قضية مفتاحية لدراسة أي فكرة لدى أي فيلسوف أو مفكر هي مسألة المرجعية الفكرية والفلسفية التي تقبع خلف أفكاره وتحدد طريقة في إنتاج المعرفة وفي النموذج الذي نحن بصدد دراسته –أي **مولود قاسم**–نلاحظ تعدد مصادر فكره بين المصادر العربية الإسلامية قديما وحديثا، والمصادر الغربية لاسيما **ديكارت** و**فختة**، وهذا الأخير لا يستشهد مولود بفيلسوف أكثر مما يستشهد به.

[1] أحمد نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص116.

[2] عبد الكريم بكري، **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص169.

يعد مولود من أهم مناضلي الجزائر وساستها ومفكريها والذي ارتبط اسمه **بالإنية والأصالة** التي لا يخفى أنه استوحاها من ثقافية الفلسفية الواسعة من **ابن سينا** و**فخته** وكذلك **عثمان أمين**.[1]

والأنية هي شعور سام لدى الإنسان بوجوده وبتميز على الغير، والأصالة هي شعور الإنسان واقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته، وإلى أديم هي بلاده وتشبعه بتصورات ومفاهيم وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ ويبلغها إلى الأجيال على مر الزمن.[2]

والأصالة إذ تفرض على الإنسان أن يكون هو غير مجتث الأصول بل يضرب بجذوره في الأعماق، تستلزم في الوقت نفسه علق سياج والمشاركة في الوجود وأخذ حضه كاملا من الضوء والأكسجين اللذين هما إكسير الحياة، أي أنه يبقى عالقا بأصله محافظا على عناصر ذاتية ومكونات شخصيته، يواكب الوجود الوقت ذاته ويساهم في المسيرة الإنسانية.[3]

أ. المرجعيات العربية:

إن الحصن المنبع في نظر **مولود قاسم** للغزو العسكري والثقافي والفكري هو الإنية والأصالة مع المعاصرة والتفتح دون المساس بمقومات الشخصية، وهذه الإنية التي استوحاها **مولود** من **ابن سينا**، وهو صاحب برهان "**الرجل الطائر**" الذي ينتزع منه جسمه ولا يبقي في تلك اللحظة إلا الوعي الحاد بوجوده وشعوره بذاته المتميزة القائمة بذاتها، المستقلة عن غيرها. فقد أكد **مولود قاسم** أنه استوحي مصطلح الإنية من **ابن سينا** وذلك بقوله: "أولا إن كلمة الإنية ليست من عندي، وإنما من فيلسوف **الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا**، الذي استعملها في كثير من كتبه وخاصة في كتابه الكبير الإشارات والتنبيهات".[4]

---

[1] عبد اللطيف عبادة: **الملتقى الوطني لتكرير المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص123.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة** ،مصدر سابق، ص101.

[3] نفسه، ص105.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟ج1**،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991، ص90.

هذه الفكرة التي بينها **ابن سينا** في كتابه الإشارات والتنبيهات أن الإنسان إن غفل عن كل شيء لا يغفل قط عن وجود نفسه وثبوت أنيته [1]، والإنية في اصطلاح **ابن سينا**، هي الذات المستمر بعينها، وهي مباينة للموضوع، ومغايرة للجسم، ويشار إليها في اللغة بضمير المتكلم في قوله "أنا"[2].

كما أورد **ابن سينا** مصطلح الإنية في كتابه "**الشفاء**"، الذي شرح من خلاله مسألة إثبات النفس فقال: "المحصل يلزمه أن يمتحن ذاته وشعوره بذاته، فيتأمل بأن شعوره هو أن له أعضاء وأفعال لا منسوبة إليه هو شعور بهويته عن طريق الحس، أوعن طريق الاستدلال... وكثير ممن يشعر بوجود إنيته لا يشعر بالحملة"،كذلك يقول:" والإنية الشعور بها واحدة في كونها شعورا بها في وحدة شخصية[3].

وهذا النص يشير إلى أن المفهوم وصفة **ابن سينا** للدلالة على الوجود العميق للذاتية، غير أن المفكر **مولود قاسم** يربط هذا المفهوم السينياوي والمفهوم الديكارتي، مثلما اجتهد الكثير من المفكرين العرب والمسلمين في الربط بين الشك **الديكارتي** والشك كما تحدث عنه **أبو حامد الغزالي**.

غير أن هذا الربط فيه نوع من التعسف إن لم نقل نوع من المغالطة التاريخية، ذلك لأن لكل مفهوم سياقه التاريخي والفلسفي الذي ظهر فيه، والتقارب الذي قد يربط المفهومين لا يعني بالضرورة التأثر المباشر فمن السهل إيجاد التقارب بين العديد من المفاهيم في مختلف الفلسفات عبر التاريخ. دون أن يعني ذلك التأثر أو النقل المباشر فيما بينهما فلا يمكن كما يقول: **غاستون بشلار** مثلا أن تربط مفهوم الذرة كما هو في العصر الحديث، مع كل ما قيل أو ورد لمصطلح الذرة عبر التاريخ[4].

[1] عثمان أمين، **محاولات فلسفية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953، ص 172.

[2] نفسه، ص176.

[3] نفسه، ص177.

[4] عبد اللطيف عبادة: **الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**، ج2 مرجع سابق، ص133.

فافتراض **ابن سينا** للرجل المعلق في الفضاء .يبين أن الذات هي التي أثبت صاحبها وجودها ،حين غفل عن كل شيء سواها مختلفة عن البدن، وأن إدراكه لنفسه ومعرفته بوجود إنيته لا يحتاج إلى البدن.

كما بين **ابن سينا** أيضا أن الإنسان إن غفل عن كل شيء لا يغفل قط عن وجود نفسه وثبوت إنيته يقول: "ارجع إلى نفسك وتأمل، هل تغفل عن وجود ذاتك ولا تثبت نفسك؟ باعدني أن هذا يكون للمستبصر حتى أن النائم في نومه والسكران في سكره لا تعرف ذاته عن ذاته، وإن لم يثبت تمثله لذاته في فكره" [1].

هذا هو معنى الإنية كما يؤكده **مولود قاسم** على لسان **ابن سينا** يقول: **"** تستطيع أن تتصور نفسك كاملا معلقا في الهواء بين السماء والأرض، فإذا بك منعدم الوجود من ناحية الجسم، وتحس أنه لا يكاد يكون ذلك وجود بين عالمين عملاقين، وأنت ذرة وكريشة في مهب الريح .... ورغم هذا الضياع الجسمي إذ أنك تشعر بإنيتك وتقول إني وإنيتك المتميزة، وشعورك الحاد ذلك هو وجودك الحقيقي**"**.[2]

وهذه الفكرة أيضا نجدها عند مفكر آخر لا يقل شأنا عن **ابن سينا** ألا وهو **ديكارت** صاحب مبدأ الكوجيتو الديكارتي المعروف والقائل: "أنا أفكر إذن أنا موجود**"** هذا وقد يرجع الكثير من المفكرين إلى أن ديكارت قد اطلع على كتابات **ابن سينا** ككتاب، **الشفاء** وكتاب **الإشارات والتنبيهات**، الذين ترجما إلى اللاتينية من خلال كتابات **غيوم الأوفروني** ولهذا ترانا نجد شيئا كبيرا بين إنية ابن سينا وإنية **ديكارت** التي أوردها في كتاباته "**مقال في المنهج**" أوفي كتاب "**التأملات**" وأيضا في كتاب "**مبادئ في الفلسفة**".[3]

[1] عثمان أمين: **محاولات فلسفية**، مرجع سابق، ص 172.

[2] نفسه، ص 172.

[3] عبد اللطيف عبادة: **الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**، ج2، مرجع سابق، ص 133.

فقد أكد ديكارت مقولته عن الإنية في كتابه مقال في المنهج حيث نجده يقول: "وأنا أرى في وضوح أنه لكي أفكر يجب أن أكون موجودا"[1]، **فديكارت** هنا ربط الوجود بالتفكير فلكي يثبت الإنسان وجوده الحقيقي، يجب عليه استعمال ملكية العقلانية ومن خلالها يثبت وجوده.

كما نجد **ديكارت** في مقام أخر يؤكد أن الفكر هو سر الوجود في إدراك الذات وهوما يبينه بقوله: **"**وأننا لا نستطيع أن نشك دون أن نكون موجودين، وأن هذا هو أول معرفة يقينية يمكن تحصيلها ...وأننا إنما نكون موجودين لأننا نفكر، ويترتب على ذلك أن فكرتنا عن نفوسنا أو ذواتنا المفكرة سابقة على فكرتنا عن أبداننا، ففكرنا عن إنيتنا أشد يقينا".[2]

ومن هنا نخلص إلى أن كل من الفيلسوفين قدم افتراض يثبت فيه الإنية.

فافتراض **ابن سينا، "الرجل المعلق في الفضاء"** وإثباته لاستقلال الذات في البدن، وافتراض **ديكارت** الذي يثبت وجود الذات في أي فعل من أفعال الفكر، وعليه فإن كلاهما بذل مجهودا لإثبات حقيقة غائبة عن الكثيرين وهي أن النفس جوهر روحاني غائب على الحواس والأوهام كما كان يقول **ابن سينا** وأنها مستقلة عن الجسم استقلالا تاما حاسما كما كان يقول **ديكارت** [3].

وهذا وقد أكد **مولود** أن معنى الإنية هو نفسه الذي نجده عند **ديكارت،** الذي يعني (الوجود) الوعي الحاد بوجود الحقيقي للشخص، وينفي **مولود قاسم** أن تكون **الإنية** هي **الأنانية**.

كما أخذ مفهوم الإنية لدي **مولود** عدة أبعاد وله مضامين فلسفية، كما وله أيضا علاقة ببعض المفاهيم الغريبة منه على غرار "**الهوية**" و"**الشخصية**" وكذلك "**الحيوانية**" التي نظر إليها أستاذ **عثمان أمين**.

مولود قاسم وعثمان أمين:

[1] عثمان أمين: **محاولات فلسفية**، مرجع سابق، ص178.
[2] نفسه، ص180.
[3] نفسه، ص ص180-181.

يعد **عثمان أمين** من بين أبرز الشخصيات الفلسفية التي تركت أثرها البارز في فكر **مولود قاسم**، إذ يعد **عثمان أمين** بمثابة الأب الروحي والملهم الحقيقي **لمولود**، فقد ساهم في بلورة فكر مولود ،وذلك لما خلفه من آراء وخواطر لم تغب يوما عن فكر **مولود قاسم**، والتي كانت له بمثابة الحقنة التي دفعته إلى خوض غمار هذه الحياة ودفعته إلى البحث عن الهوية العربية الضائعة وبالخصوص الهوية الجزائرية، التي كانت في تلك الفترة لا يعرف لها أي وجود سوى كونها مستعمرة فرنسية، كما كان للدكتور **عثمان أمين** الفضل الأول في توجيه فكر مولود قاسم إلى تقفي أعلام الفكر الإسلامي أمثل **الفارابي** و**ابن سينا** و**الغزالي** و**ابن رشد**، وأن يعرف من الفكر العربي الإسلامي الحديث، ومن كتابات رواده، أمثال **جمال الدين الأفغاني**، **ومحمد عبده** و**الكواكبي** و**رشيد رضا** و**محمد إقبال**، وقد شكل كل هؤلاء الورد اليومي الذي دأب مولود على قراءته، فقد كان هؤلاء هم الرواد المسلمين الحقيقيين لروح التجديد والحرية والنزعة الثورية التي تطبع بها **مولود قاسم**، وبالعودة إلى **مولود** يؤكد من جديد أن أساتذة **عثمان آمين** كان دائم الحرص على حضور ملتقيات الذكر الإسلامي، حتى وافته المنية سنة 1976م. فقد كان كما يقول **مولود** دائم الحرص على إبراز فضل الفلاسفة المسلمين على (أوروبا)، وقد كان دائم الإلحاح والتأكيد على فضل اللغة العربية على سائر اللغات الأخرى وينادي بضرورة إرجاعها إلى مكانتها في جميع ميادين الحياة الأمة الإسلامية[1].

والتي أخذ **مولود قاسم** على العمل على إرجاع لها مكانتها المرموقة بين اللغات العالمية، ويعرف **مولود قاسم** الإنية بقوله: "أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، وهي تلك الإنية التي يتكلم عنها **ابن سينا** والتي تتلخص من أنه كان قد تصور نفسه معلقا بين السماء والأرض، وأن جسمه قد انتزع منه وفي حكم العدم، ولم يبقى له في تلك اللحظة، وهوبين عالمين، إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده وشعوره بذاته المتميزة، القائمة

[1] إسماعيل تاجي: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص18.

بذاتها المستقلة عن غيرها، وهذا التصور **لابن سينا** هو الذي كان الأصل في ذلك الكوجيتو **الديكارتي** المعروف الذي يقول: " أنا أفكر فأنا إذن موجود".[1]

كما يؤكد **مولود قاسم** أن أساتذة **عثمان أمين** كان واعيا تمام الوعي للوضع الذي تعيشه الأمة الإسلامية المستكينة، متألما شديد التألم لأجلها وغير ممتلئ أملا مستقبلا ،ناقدا مريرا النقد لتهاونها في مهام الأمور، وغفلتها عن مدى الهوة التي تردت إليها وعدم شعورها بما يجري من حولها، فقد رأى أن شباب هذه الأمة يعيش في حالة ضياع وتيه وغفلة وكأن أمتهم في عصر **هارون الرشيد**، وأخذ **مولود قاسم** عن أستاذه **عثمان أمين** اهتمامه بمفهوم الإنية وهوما يؤكده بقوله: **"** وإننا لندين لأستاذنا الكبير باهتمامنا بمفهوم الإنية بمبناها ومعناها**"**[2].

هذه الإنية التي لخصها **عثمان أمين** في كتابه الحيوانية والتي يقول عنها **مولود قاسم:"** هذه الحيوانية التي يمكن أن تلخص في الإنية، أو المطابقة التامة لجذور الأنا والمحافظة على جميع جذور الذاتية والمتمسكة بسائر مكونات الشخصية مع الاستفادة بعد ذلك فقط مما يتلاءم مع تلك الإنية لدي الغير، ومع التعبير عن ذلك كله من عميق النفس ومن وحي الذات الواعية "الجوانية" .[3]

ويحرص **مولود قاسم** على الانتماء إلى التيار الذي رسم معاملة أستاذة فيقول: **"**وهذه الذكرى تقريبا هي التي حاولنا تلخيصها في كلمة واحدة هي الأصالة وسبق لنا تحديدها بالصيغة الإنية: أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره، ودون أن يصبح نسخة غيره**"**.[4]

وهذه الفكرة قد أخذها **عثمان أمين** عن **ابن سينا**، والجوانية هي فلسفة تحاول أن تطلب الحقيقة فيما وراء الواقع بقوة روحية تستحث الإنسان على الابتكار المتجدد الواعي والسعي للوصول إلى ما ينبغي أن يكون مستند

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص ص104-103.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**،**ج2**، مصدر سابق، ص326.

[3] نفسه، ص 326.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص326.

على تزكية الوعي الإنساني وسياقه إلى تعميق فهمها للمقاصد والمعاني والقيم، وتصنع لنا مبادئ عامة لتربية جديدة، فتوقظ الشعور الوطني في أبناء الأمة وتجعلهم يأبون حياة الضم والمذلة ويحققون حياة الحرية والكرامة.

ب. المرجعيات الغربية:

- **مولود قاسم وفخته :**

لقد شكلت الثقافة الألمانية المادة الدسمة التي استلهم منها **مولود قاسم**، وشرب من منابعها الأصيلة، والتي لا تقل هي الأخرى شئنا عن المشارب العربية، فقد كان للمفكرين الألمان دور في إرساء أسس فكر **مولود قاسم** ولعل من بين الذين كان لهم الأثر البارز نجد الفيلسوف **الألماني يوهان غوتليب فخته**، لماذا فخته بذات؟

لأنه كان يعيش ظروفا مثل تلك التي عاشها المفكر المسلم الحريص على إنيته المتمسك بمقوماته والمتطلع إلى استنهاض أفراد ميتة والذي جاء في قوله: "وأول ما أبدا به تجربة مرت بها أمة في القرن الماضي، أوشكت أن تمر بها ونظر أحد فلاسفتها، وسأقف طويلا لدى هذه التجربة نظرا للدور الديناميكي الأساسي الفعال والمباشر الذي لعبته فيها شخصية فذة، ونظرا لانطباق آراء هذه الشخصية على أية أمة من الأمم في جزء كبير من هذه الآراء التي كأنه يخاطبنا بها، والتي لا تزال لها صلاحيات وصحتها في اليوم" [1].

فقد رأى **مولود قاسم** في شخصية **فخته** المثل الأعلى الذي يمثل الشخص الأصيل المتمسك بهويته ووطنية والمدافع عن أمته وعن كل مقوماتها وهنا يقول **مولود قاسم**:"بل اهتموا أيضا وبالدرجة الأولى بالقضايا الوطنية والإنسانية اليومية بآلام الشعب ومصير الأمة كأمة، فوضعوا طاقتهم وكل طاقتهم في خدمة أمتهم وإتقانها وضمان خلودها وأقصد بهذه الشخصية الفذة الممتازة يوهان غوتليب فخته" [2].

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص326.

[2] نفسه، ص54.

ومن المعلوم أن فخته معروف بأنه فيلسوف المقاومة، فقد وجه إلى الأمة الألمانية العديد من النداءات والتي ألقاها في شكل محاضرات في جامعة برلين في صميم الأزمة التي كانت تتخبط فيها ألمانيا فيما بين (1800م-1814م) والتي كانت تحت وطأة كابوس **نابليون بونابرت**[1].

كما أكد **مولود قاسم** أن **فخته** هو صاحب فلسفة الإنية أو الذاتية وأنه لا وجود لأمة من الأمم إلا بوجود إنيتها التي هي شخصيتها وعليه نجد **مولود قاسم** قد أخذ من **فخته** مرتكزات فلسفة الإنية والتي تقوم على ثلاث عناصر أساسية هي:

- الديــن
- اللغة
- حب الوطن

وهذه العناصر تشكل – حسب **مولود** – مقومات الشخصية الوطنية التي تكلم عنها **فخته** والتي هي غاية في التداخل والترابط والتكامل وذلك لأن كل عنصر متشابك مع الأخر ومكمل له:" بل هي متشابكة متكاملة عنده بحيث أنه لم يكن يتصور أن يكون هناك ألماني متدين ولا يحب وطنه ولغته كما أنه لا يتصور محبا للغته دون وطنه ودينه، ولا محبا لوطنه دون دينه ولغته".[2]

وعلى هذا الأساس فإننا نستعرض كل عنصر من عناصر الهوية التي ناد بها **فخته** ونبرز أثرها في فكر **مولود قاسم**.

[1] عبد اللطيف عبادة: **الملتقى الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص127.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 54.

أ. الديـــن:

لقد كان **مولود** يولي الدين الإسلامي أهمية كبيرة بالنسبة لكل شخص يعتز بمقومات شخصية ودينية، إذ يرى **مولود** في الدين الإسلامي أنه أول عنصر مشكل للهوية، فهو ثورة شاملة لأنه منهج للحياة يشمل جوانبها الثقافية والاقتصادية ويساير كل زمان ومكان، متفتح على الغير وبهذا يعد النواة الأولى، التي تنمو فيها الإنية حسب **مولود**- عند كل فرد مسلم[1]، في هذه النقطة لم تقنع فكرة أن ما تعرضت له الجزائر وما تعرضت له ألمانيا من طرف الاستعمار الفرنسي **أبو القاسم سعد الله**، فقد اعتبر أن شدة تأثر **مولود** بالفلسفة الألمانية وزعمائها ماهي إلا حماسة الشباب التي تقوده يقول: " اهتمامه بالقومية الألمانية التي يبدوا أنه تأثر بأعلامها كثيرا قد جعله يبحث في التاريخ كما بحثوا،...فقد كانت أحلام الشباب وجموح الفتوه يذهبان بنا كل مذهب دون حدود أو قيود".[2]

وهذا ما يؤكد **مولود** على لسان **فخته** في قوله: **"** إن تربية الشعب على التمسك بالدين والأخلاق هي أساس كل حكومة، وعلى هذا الحكومة أن تؤسس معهدا لهذا التربية الدينية وهذا المعهد جزء لا يتجزأ من مؤسسات كل دولة حكيمة طيلة دوامها".[3]

وهنا تلمس نقاط تأثر **مولود قاسم** بفخته، والتي دفعته إلى إنشاء مؤسسات دينية التي من شأنها تزويد الفرد بالمبادئ والمعتقدات الصحيحة والسليمة للدين، كما عمل على إنشاء وإقامة العديد من المحاضرات والمؤتمرات والملتقيات والتي جسدها في ملتقيات الفكر الإسلامي، والتي عمل من خلالها على معالجة ومناقشة العديد من القضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية، والتي أراد من خلالها تكوين جيل واعي ومتمسك بدينه.

[1] عبد الغني بو السكك: **راهنية الهوية عند مولود قاسم**، مرجع سابق، ص203.

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص199.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص55.

ب. اللغـــة:

لقد كان **مولود** مولعا باللغة العربية والتي يعتبرها ثاني مكون للهوية الوطنية ولأنها لغة القرآن والحاملة لمختلف العلوم والمعارف وعنها يقول: "إن اللغة ليست إلا الصورة الخارجية للتفكير والإحساس الواقع أنها أكثر من هذا، فهي تلك المحملة بتلك العناصر المكونة ،للذاتية للشخصية القومية فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني"[1]، كما أخذ **مولود** عن فخته نقده الشديد للغة الفرنسية التي كان يعتبرها البعض بأنها راقبه، وهوما دفع **فختة** التي نقدها ونقد كل من يتبناها، فاللغة حسب **فختة** هي: "اللغة هي بؤرة الاستقلال المتعددة المستويات" [2].

بمعنى أن التحرر يبدأ يتحرر من لغة المستعمر وهنا يقول **فختة:** " ولما كانت الثقافة أساسا هي اللغة، قبل أن تكون في الآداب والفلسفة فإن التحرر من الثقافة الفرنسية باعتبارها ثقافة محتل، فبدأ بنقد اللغة الفرنسية وثقافتها المرتبطة بها**"** [3].

وقد كانت اللغة عند **مولود** بمثابة الخيط الذي يجمع نصوص النقد فهي أداء الوصل بين الأجيال وأداء نقل المآثر والعبر، وفي الوقت أداة صناعة المستقبل، لأنها كما يقول **مولود قاسم** على لسان **فختة:** "اللغة هي القوة الطبيعية التي تتدفق تلقائيا، وتؤثر في الإنسان والحياة تأثيرا مباشرا فعالا، بما تشحنه من طاقة كامنة وقوة ديناميكية فياضة تدفع إلى الأمام"[4]، وما نؤكد عليه هو أن اللغة أخذت مكانا مركزيا في فكر **مولود قاسم** والذي ترجمه في العديد من المقالات والتي حملت عدة عناوين :

ـ تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة .

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص636.

[2] حسن حنفي: **فختة فيلسوف المقاومة**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص496.

[3] نفسه، ص 497.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 58.

ـ قيمة اللغة في نظر بعض الأمم.

ـ علمية اللغة العربية ماضيا ومستقبلا .

ـ اللغة والشخصية في حياة الأمم.

ـ تكلم لغة قومك.

ج. حب الوطـــن:

يعتبر حب الوطن والشعور بانتماء إليه والحنين له أحد ركائز الهوية، التي لا تكتمل بدونه، وحب الوطن يعتبره **مولود قاسم** شأنه شأن **فخته** ركن من أركان الإنية، وفي هذا الصدد يقول **مولود** على لسان **فخته:**

"فكما أن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا، كحياة روحية بمعنى الكلمة، فإن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين".[1]

وعليه كان تركيز **مولود قاسم** على حب الوطن، وهو ابن الحركة الوطنية والإصلاحية، كما انه أيضا أحد الرجال الذين صنعوا الثورة التحريرية المباركة، إذ أورد **مولود قاسم** قولا لفخته جاء فيه: "إن الوطن هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته التي هو عضو منها، إن الوطن خالد هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه، وإن الذي لا يحي وطنه ليس له وطن وإني لأرثي كل الثراء لمن لا وطن له".[2]

ومن حب **مولود** لوطنه أشاد بالثورات المتسلسلة والمتعاقبة عبر التاريخ ضد المحتلين والرومان والفرنسيين وأشاد بإسهام الجزائر في الحضارة والفكر الإسلامي، وأكد بأن الجزائر كانت دولة كاملة الأركان قبل الاحتلال الفرنسي.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص62.

[2] نفسه، ص63.

لها معاهدات تحفظ بها أمنها وأمن من يخوض في بحرها ولها علاقات تجارية خارجية ومكانة مرموقة بين الأمم ولها هيبتها وهوما لخصه **مولود قاسم** "**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830**".

كما أورد **فختته** العديد من الآراء في حب الوطن والوطنية وعدم التفرقة وضرورة الوحدة الوطنية ودرء كل ما يدعو إلى العصبية والتفرقة وهوما جاء في نداء الثامن بقوله فيه:" الوطنية هي حب الوطن حبا حقيقيا متفقا مع العقل، الوطن والشعب هما رهان الخلود في الزمان، الوطنية جوهر الدين والشعب حامل الرسالة والإنسان محقق الأمانة لا فرق بين حب الله والوطن والحب لا يرتبط بما هو زائل وفان بل يزدهر ويتجلى أمام الأبدي ،بل أن حب النفس لا يتجلى إلا من خلال حب خالد".[1]

وهنا يؤكد **فختته** أن لكل شعب دور في التاريخ، وقد ذكر **فختته الرسول محمد صلى الله عليه وسلم** ودور رسالته التي جاء بها والتي أخرجت شعبا من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم ومن التفكك إلى الوحدة ومن القبلية إلى الشمولية.

وعلى هذا الأساس كان **مولود** مولعا **بفختته** هذا الفيلسوف الوطني والواعي بمصير أمته والذي أراد من خلال أفكاره وأراءه إعادة إحياء هذه الأمة وبعث الوعي فيها من جديد وبعث فيها الشعور بالوطنية وضرورة الاعتزاز بمقوماتها ودعي إلى التخلص من مخلفات الاستعمار الفرنسي، الذي رحب به العديد من الفلاسفة على غرار **هيغل** و**غوته** وغيرهم ممن رأى في **نابليون** المخلص.

كما أدرج **فختته** العديد من الأساليب لبعث الهوية الوطنية من جديد على غرار التربية الوطنية، والتي قال عنها: "إن هذه التربية ينبغي طبعا أن تكون باللغة الألمانية، والمعلمون ينبغي أن يعلموا بالألمانية، والكتب الدراسية تكون بالألمانية ...إن هذه التربية يجب أن تكون وطنية بمعنى الكلمة لا مواد مترجمة".[2]

[1] عثمان أمين: **محاولات فلسفية**، مرجع سابق، ص 510.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 65.

ومن هنا أيضا نلمس نقاط تأثر **مولود قاسم بفخته** والتي ترجمها في العديد من المشاريع الإصلاحية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، ملتقيات الفكر الإسلامي، وكذلك إنشاء الجامعة الإسلامية، كما ألح على ضرورة إحياء اللغة العربية والتدريس بها كما قاد جملة التعريب وتعميم استعمال اللغة العربية في كافة التخصصات التعليمية.

ونحن نخوض غمار البحث عن المصادر الفكرية **لمولود قاسم** مررنا أيضا ببعض الشخصيات التي كانت لها بعض الإسهامات في بلورة فكره ونخص بالذكر الموسيقار الألماني **بتهوفن**، فقد نالت موسيقى **بتهوفن** الاحترام والتقدير من طرف **مولود قاسم** وإعجابه بها، والتي كان يرى فيها أنها موسيقى تسمو بالإنسان وتسعى في خدمة القيم الأخلاقية العليا للإنسانية.

كما يرى في موسيقى **بتهوفن** أنها مناهضة للدكتاتورية والاستبداد ومناديه بالحرية والكرامة للشعوب إذ يقول **بتهوفن** موجها خطابه إلى **نابليون** أثناء الاحتلال الفرنسي لألمانيا:" إنما أنت ديكتاتور مثل الآخرين ،تدوس حريات الشعوب".[1]

هذه الموسيقى التي تعتبر وسيلة من وسائل الكفاح لأجل الحرية والكرامة والمدافعة عن شخصية الأمة وإنيتها وأصالتها والتي تعبر بها عن أمال وألام الشعوب، والموسيقى التي أرادها **مولود قاسم** هي الموسيقى الشعبية التي تحمل في طياتها حكما وأفكارا وتحمل أيضا قيما لتهذيب النفس والسمو بالروح والعقل.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص636.

الفصل الثاني: مقومات الإنية الجزائرية عند مولود قاسم.

المبحث الأول: الدين الإسلامي رمز الهوية الوطنية.

المبحث الثاني: اللغة العربية صورة الهوية الوطنية.

المبحث الثالث: التاريخ المشترك للإنية الجزائرية.

المبحث الرابع: حب الوطن والوطنية.

تمهيد:

يعد مفهوم الهوية من المفاهيم الأخلاقية التي أخذت حيزا كبيرا من الاهتمامات الباحثين والمفكرين، خصوصا بعد أن أقتحم هذا المفهوم جميع مجالات العلوم الإنسانية وأصبح في القرن العشرين ذا مكانة متميزة.

فالهوية مصطلح يتحدد بناء علي الدلالة اللغوية والفلسفية والسيكولوجية والتاريخية له، لذا نجد مصطلح الهوية قد فرض نفسه في الفكر الفلسفي عامة والفكر الفلسفي العربي خاصة، فنجده في المستوى الأول قد أستعمل المصطلح في الإرث الأرسطي بمعني الوجود، وفي المستوي الثاني دل المفهوم على ما به يكون الشيء هو نفسه.[1]

كما أن الهوية هي المسألة الأساسية للفلسفة منذ أن قال **سقراط**: "إعرف نفسك بنفسك" وصولا إلى **فرويد** ومرورا بالعديد من الباحثين والمفكرين الأخرين[2]، ولتحديد مفهوم الهوية سنبدأ أولا بتحديد المدلول اللغوي للمفهوم ثم نتطرق إلى تحديد المدلول الاصطلاحي له.

أ-التحديد اللغوي لمفهوم الهوية:

تستعمل كلمة الهوية في الأدبيات العربية المعاصرة مطابقة لكلمة identity في الإنجليزية و identite في اللغة الفرنسية وكلاهما مستمد من الأصل اللاتيني للكلمة identitais أو identatis والتي تعني نفسه أوعينه.

[1] سالم لبيض: **الهوية الاسلام، العروبة التونسية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص32.

[2] أمين معلوف: **الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة**، ترجمة نبيل محسن، وردر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999، ص13.

ووفق معجم لا لاند الفلسفي، فإن الهوية تدل على الميزة الثابتة في الذات، إنها ميزة ما هو متماثل سواء تعلق بما تقيمه الذات من علاقه مع ذاتها، أو مع الواقع على اختلاف أشكاله [1].

أما في اللغة العربية فالهوية كمصطلح ليست عربية أصيلة وإنما اضطر إليها بعض المترجمين فاشتقت من الحرف الرابط الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره وهو حرف "هو".[2]

والهوية هي مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "ال" ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشدد وعلامة التأنيث "ة"[3].

وحسب ما جاء في لسان العرب **لابن منظور** فالهوية من "هوى يهوي هوة " والهوية تصغيره لهو ة وقيل الهوية بئر بعيدة الهواة.[4]

هذا وجاءت للفظة الهوية في كتاب التعريفات **للجرجاني** بمعني تحقيق الوجود العيني من حيث مرتبته الذاتية[5]، ووردت لفظة الهوية في المعاجم العربية بمعني حقيقة الشيء أو الشخص الذي يميزه عن غيره ونجدها عند **ابن رشد** تطلق بالترادف على المعني الذي يطلق عليه اسم موجود، ونجدها عند **الفارابي**، هوية الشيء: عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد الذي لا يقع فيه اشتراك[6].

كذلك نجد كلمة الهوية من حيث الدلالة اللغوية كونها كلمة مركبه من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها، وهي بهذا المعنى اسم

---

[1] أمين معلوف: **الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة**، مرجع سابق، ص15.

[2] جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، الشركة العالمية للكتاب، ج2، 1994، ص529.

[3] أمين معلوف: **الهويات القاتلة**، مرجع سابق، ص15 .

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، المجلد6، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص4929.

[5] الجرجاني: **معجم التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة، (د ت)، ص35.

[6] سالم لبيض: **الهوية الاسلام العروبة التونسية**، مرجع سابق، ص32.

الكيان أو الوجود على حاله أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هي بناء على مقومات ومواصفات وخصائص تمكن من معرفة صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله[1].

إذن الهوية في المعني الدلالي هي التفرد وعدم الاشتراك بأي خاصيه لشخص أو لشيء مع شخص أو شيء أخر، وهذا التفرد هو الذي يجعل من صاحبه ذو ميزات خاصه دون أن يقع في اللبس مع شخص أخر.

ب- التحديد الاصطلاحي لمفهوم الهوية:

يرتبط المفهوم الاصطلاحي للهوية بتعارف جماعه معيته على أنها مجموعه محليا، مهنيا، مذهبيا، قوميا وهي الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي، ويمكن أن تحدد توجهات الناس وأهدافهم وتدفعهم إلى العمل معاني تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعيتهم في التاريخ.[2]

وهذا التعريف فيه إشارة لمحددات الهوية من جهة والمتمثلة في، الوعي بالذات والمصير التاريخي الواحد والهدف المشترك، كما يضم هدا التعريف من جهة ثانيه أهداف الهوية وهي الدافعية إلى العمل وتثبيت الوجود وأيضا المحافظة على الإرث التاريخي، كما تدعوا إلى تحسين الوضعية في التاريخ.

كذلك نجد أن الهوية تشير أيضا إلى أنه لا توجد جماعة بشرية دون أن يكون لها فلسفتها الخاصة بها وقواعدها ومعاييرها التي تميزها عن المجتمعات التي تحيط بها وتختلف عنها في القيم والتقاليد، فالهوية إذن هي التماثل والاختلاف مع الأخرين في آن واحد.

كما يمكن أن نقول أن الهوية هي مجموعة الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والنفسية والوجدانية التي يتصف بها الإنسان من الناحية الفردية، أما من الناحية الاجتماعية فهي مجموعة الصفات والسمات الثقافية العامة

[1] أحمد بن نعمان: **الهوية الحقائق والمغالطات**، دار الأمة، الجزائر، 1996، ص21.

[2] سالم لبيض: **الهوية الاسلام العروبة التونسية**، مرجع سابق، ص33.

التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الافراد الذين ينتمون إلى أمة من الأمم، هذه الصفات تجعلهم يعرفون ويتميزون عن سواهم من أفراد الأمم الأخرى،[1] فالهوية هي ما تمثل في درجة التشابهات والاشتراكات بين أفراد الجماعة الواحدة، كما تمثل درجة الاختلاف مع أشخاص أخرين خارج إطار الجماعة الأولى.

وفي تعريف أخر للهوية نجدها هي تلك الطريقة المرجعية التي يتحدها الأفراد والجماعات والتي تميزهم عن الأخرين في علاقتهم الاجتماعية، أوهي طريقة يعرف الاشخاص والجماعات على أنفسهم من خلال أساس العرق، الدين، اللغة والثقافة،[2] ونجد الدكتور **نقولا زيادة** في تحديده لشخصية العربية يقول: "نحن أمة لأننا وحدة روحية، لنا بلاد نقطنها وتاريخ نرجع إليه، ولغة حية نتكلمها، وأدب نستعذب به ذكريات نتغنى بها وأمال مشتركة نصبوا إلى تحقيقها، ومثل عليا نسعى إليها وقوه نبدلها في سبيل أمالنا ومثلنا وإرادة تحملنا إلى سبيل الوصول إلى ما نأمل"[3]، الهوية إذن هي عبارة عن تأكيد للتماثل داخل الجماعة والاختلاف خارجها.

ويحظى فيها الأفراد بهويات بعضها اختياري مثل العقيدة وبعضها الأخر مفروض مثل السلالة والجنس كما أن الهوية الفردية والهوية الجماعية في علاقة تفاعلية بحيث أن الفرد هو المكون الاساسي للهوية الجماعية، في حين أن الجماعة هي التي تبلور هوية الفرد وتوجهها، وهو ما يدفع إلى الشعور بالحاجة إلى الانتماء إلى جماعة والإحساس الإيجابي نحوها وهذا الانتماء يتحكم فيه حفزان هما:

1_الحاجة إلى الانتماء والتعاون مع الأخر الذي يحمل نفس التوجهات والمعتقدات.

2_الحاجة إلى التميز والاختلاف عن الأخر ممن لا يتماثل معه[4].

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص116.
[2] أمين معلوف: **الهويات القاتلة**، مرجع سابق، ص16.
[3] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص116.
[4] أمين معلوف: **الهويات القاتلة**، مرجع سابق، ص17.

وما يمكن أن نشير اليه هو أن الأستاذ المرحوم **مولود قاسم نايت بلقاسم** يفضل استعمال مصطلح "الإنية" بدلا من الهوية بدعوا أن مصطلح الهوية مستورد وغير أصيل لذلك عوضه بلفظ "الإنية" الدي وجده في كتابات الفلاسفة المسلمين والتي اقتبسها من الفيلسوف المسلم **الحسن ابي علي بن سينا** وهو ما يؤكده بقوله " نفضل كلمة الإنية على كلمة "الهوية" التي هي ترجمة حرفية لكلمة identite.

وهي تركيب مزجي من اللاتينية المحدثة (le das latim) من كلمتين iden، بمعنى نفس الشيء "هو هو " وentitas، بمعنى الكيان التي هي حالة جر من حالة الرفع ens "[1].

كما يؤكد **مولود قاسم** أنه أخذ مصطلح الإنية من **ابن سينا** وهو ما جاء في قوله: "نفضل على كلمة الهوية، إذن كلمة الإنية من إني المؤكدة للذات المثبتة للشخصية والمأخوذة من الاشارات والتنبيهات لذلك القمقام الكبير الفيلسوف الطبيب، الشيخ الرئيس، الحسن أبي علي سينا"[2]، وهذا الأخير يقول: "إنك عندما تشعر بإنيتك تقول إني وإنيتك تلك، المتميزة هي وجودك الحقيقي وهو ما عبر عنه ببرهان الرجل.

المعلق في الفضاء، الذي ينتزع منه جسمه ولا يبقي له في تلك اللحظة إلا الوعي الحاد بوجوده وشعوره بذاته المتميزة القائمة بذاتها المستقلة عن غيرها[3]، وعليه كان تفضيل **مولود** للاستعمال مصطلح الإنية بدلا من الهوية والتي يعرفها بقوله: "وأقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، وهي تلك لأنية التي يتكلم عنها ابن سينا، والتي تتلخص في أنه كان قد تصور نفسه معلقا بين السماء والأرض وأن جسمه قد انتزع منه، وفي حكم العدم، ولم يبقي له في تلك اللحظة، وهو بين عالمين إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده وشعوره بذاته المتميزة، القائمة بذاتها المستقلة عن غيرها".[4]

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830**، ج2، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص366.

[2] نفسه، ص366.

[3] عبد اللطيف عباده: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص132.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص ص 104-103.

وبناء على هذا صاغ **مولود قاسم** هذا الافتراض الذي جاء به **ابن سينا** وحوله على ما وقعت فيه الأمة الجزائرية، التي باتت معلقة بين هويتين الهوية الفرنسية الصرفة والهوية الجزائرية البحتة وهو ما يؤكده بقوله: "لقد كنا في العهد الاستعماري معلقين في الهواء بين عالمين، منزوعة عنا جنسيتنا الجزائرية، وغير معترف بنا ولا معاملين كفرنسين، ومع ذلك كنا كأكثر ما نكون اعتزازا بذاتيتنا، وتعلقنا بمقومات شخصيتنا، من دين ولغة وتقاليد"[1]، وهذا ما سنحاول معالجته، وإبراز اهم المرتكزات التي قامت عليها الهوية عند **مولود قاسم** أو ما يسميه "الإنية "، وسنحاول إلقاء الضوء على هذه المقومات وشرح وتحليل كيفية كونها الدعامات الأساسية للهوية الوطنية والتي تضم العناصر التالية، الدين الاسلامي واللغة العربية والتاريخ المشترك وأخيرا الوطن الواحد أو ما عبر عنه **مولود** بحب الوطن.

المبحث الأول: مقومات الهوية الوطنية عند مولود قاسم

تمهيد:

لا يميز **مولود قاسم** بين مقومات الإنية بالنسبة للفرد الجزائرية فهي نفسها مقومات الأمة الجزائرية التي ينتمي إليها فهو يوحد بين هوية الفرد وهوية الجماعة، لذلك كانت جل خطاباته بالصيغة الفردية، ثم يسقطها على الجماعة وعندما يتكلم عن الجماعة فإنه يشير إلى الفرد منها بالضرورة.

ومن هذا المنطلق فإن مقومات الهوية للفرد الجزائري _**حسب مولود**_ هي مقومات الأمة والعكس، وهذه المقومات يجملها **مولود** في قول الفيلسوف الألماني **فيخته** يقول: " يري فيخته صاحب فلسفة الإنية أو الذاتية... أن وجود أمة من الأمم بوجود إنيتها التي هي شخصيتها، وأن هذه الشخصية تتكون من عناصر ثلاثة: الدين

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص104.

واللغة وحب الوطن "[1]، إذن مقومات الهوية عند مولود تتألف من الدين الإسلامي، واللغة العربية، ثم يأتي التاريخ بإضافة إلى حب الوطن، وهذه العناصر الأربعة غاية في التداخل والتكامل، فالواحد منها مكمل للأجر، وبدون الواحد لا يقوم الأجر، يقول: "على أنها غاية في التداخل...ذلك أنه لم يكن يتصور عنصرا من العناصر الثلاثة بدون الأخرين، بل هي متشابكة متكاملة"[2]، كما نجد أن هذه العناصر المكونة الهوية الوطنية هي التي نادت بها من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تحت قيادة الإمام **عبد الحميد ابن باديس**، إذ قال في شأنها: "الجزائر وطني والإسلام ديني والعربية لغتي"[3]، وهي نفس الشعارات التي نادت بها الأحزاب السياسية والإصلاحية في الحركة الوطنية" وكانت الجزائر كلها، الحركات السياسية المتخالفة في نقط أخري متفقة على هذه النقطة بالذات "الجزائر وطني " في الوطن الصغير، وسط الوطن الكبير، " الإسلام ديني" والعربية لغتي" هكذا كان...".[4]

وعلى هذا الأساس انطلق **مولود** في نهجه الإصلاحي، إذ سعي وبكل جهد إلى ترسيخ هذه المقومات في أوساط الأمة الجزائرية وعمل على تثبيتها استنادا إلى مختلف المرجعيات الفكرية والسياسية سواء العالمية أو الوطنية وهو ما وجده في الفيلسوف الألماني **فيخته**، الذي يعتبر فيلسوف الإنية والهوية بامتياز، إذ كان يري أن الأركان التي تقوم عليها شخصية أية أمة من الأمم هي ثلاثة يقول: " اللغة والدين والتاريخ لغرس حب الوطن...".[5]

فهذه العناصر هي الكفيلة بالحفاظ على الهوية الوطنية، من التشتت والاندثار والتشويه، حيث نجد **مولود** شديد العتاب لمن تهاون في التمسك بها، أولم يعمل على المحافظة عليها، من الانحراف والتزوير، لذا نجده دائم النصح إلى ضرورة التمسك بها يقول: " ...وعدم العض بالنواجد على عناصر تلك الأصالة، والاسترخاء في التشبث بمقومات تلك الإنية التي هي اللغة والدين والتاريخ لغرس حب الوطن، والحياة أو العرف العام الذي هو

---

[1]. مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص54.

[2] نفسه، ص54.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**ج2، مصدر سابق، ص81.

[4] نفسه، ص81.

[5] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية.ج**1، مصدر سابق، ص 24.

شرط الوازع الأخلاقي في الفرد والأمة، وسدي المجتمعات ولحمتها، وما يجعل من الإنسان إنسانا، ويوثق عضويته من الإنسانية "[1].

إذن بالمقارنة بين النصوص نجد أن مقومات الهوية الجزائرية هي الدين الإسلامي واللغة العربية والتاريخ المشترك، بإضافة إلى حب الوطن، إذ تمثل هذه هي المرتكزات الأساسية للإنية الجزائرية، أما المقومات الأخرى كالتراث والعادات والتقاليد، والثقافة والأخلاق، هي فروع وآليات تساهم في ترسيخ المقومات الكبرى للإنية الجزائرية، وعلى هذا الأساس يمكن أن ننطلق في تفصيل هذه العناصر، مراعين في ذلك الترتيب الذي يحبه **مولود قاسم**، بدأ بالدين الإسلامي ثم اللغة العربية، بعدها التاريخ، وأخيرا حب الوطن.

أ. الدين الإسلامي رمز الهوية الوطنية.

لا يتردد **مولود قاسم** في اعتبار الدين الإسلامي الأساس الأول والأهم للإنية الجزائرية، في الماضي والحاضر، كونه السياق الروحي الذي استرسلت عبره المسيرة التاريخية لسكان شمال إفريقيا، أو بلاد المغرب كما أصبحت تعرف بعد الفتح الإسلامي، ونظرا لأهميته القصوى التي نهض بها الدين في التحول إلى الأفضل بشخصية الأهالي على مدار القرون الطويلة. كما لم تكن نظرة **مولود** للدين على أنه وقار وعامل من عوامل صقل الشخصية وتشكل الكيان التاريخي لبلاد المغرب فحسب، إنما نظر إليه على اعتباره المعين الثري الذي ظل يمثل فعالية التجديد الروحي، وعلة الديمومة وإكسير المقاومة والإصرار الباهر على تحقيق الرقي والبقاء[2].

والإسلام في الجزائر له وضع خاص، فالجزائر لم تنفصل على الإسلام لا بالأمس ولا اليوم، فمنذ القرون الأولي للفح الإسلامي للجزائر تكون على إثر ذلك مجتمع عربي إسلامي، بعد أن فهم الأمازيغ معاني الإسلام

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية. ج1**، مصدر سابق، ص ص72-71.

[2] عشراتي سليمان: **الملتقي الوطني لتكريم المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، ج2**، مرجع سابق، ص11.

فأمنوا بتعاليمه السمحة من حرية وعدل وإخاء، حيث انصهر العنصر الأمازيغي مع العرب الفاتحون مما نتج عنه عنصر جزائري أصيل.

وفي هذا الصدد يقول العلامة **عبد الحميد ابن باديس:** "إن أبناء يعرب وأبناء أمازيغ جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتي كونت منهم في أحقاب بعبدة عنصرا مسلما جزائريا، أمة الجزائر وأبوه الإسلام، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء أمازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون مما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعادة كلمة الله، وما أسالوا من محابر في مجالس الدرس لخدمة العلم، فأي قوة بعد هذا تستطيع أن تفرقهم"[1]، إذن الجزائر عرفت الإسلام منذ قرون خلت، فقد أضحى العقيدة الأولى التي يتغنى بها كل جزائري ويعمل على تطبيق مبادئه وتعاليمه السمحة، التي جاءت لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فهو السبيل للنجاة في هذه الحياة.

هذا الإسلام الذي كان له الفضل في حماية هذه الأمة من التشتت والضياع عقب سلسلة الحملات الصليبية، التي كان هدفها الأساسي هو طمس معالم هذا الدين، ونشر التبشير المسيحي في هذه الأمة، ونحن نسعى من خلال دراستنا هذه إلى إبراز الدور الذي قام به الدين الإسلامي في حماية الجزائر من خطر التنصير كما أننا سنلقي الضوء على أهم الأدوار التي لعبها الإسلام باعتباره رمزا من رموز الهوية الوطنية، وكحامي الأمة وكذلك كونه الدافع والمحفز لاسترجاع السيادة الوطنية.

1. الإسلام رمز للإنية الجزائرية:

منذ أن دخل الإسلام بلد المغرب العربي أضحي هو العقيدة الرسمية التي تطبع بلدانه بما فيها الجزائر، فمنذ أن دخلها الفاتحون الأولون واعتنقه سكان الجزائر أصبح يمثل هو يتهم وأساس هام في وجودهم وكينونتهم فالإسلام لعب الدور الحامي للهوية من الانسلاخ والتشوه والتحريف، وهذا ما أكده **مولود قاسم** بقوله: " فبه

[1] محمد الميلي: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الطباعة الشعبية للمجلس، الجزائر، 2007، ص 50.

حمينا أنفسنا من المسخ والاندماج، وبالإسلام قاومنا بالأمس، قام الكفاح السياسي الثوري والاصلاحي الديني في الجزائر..."[1]، وهو ما أكد عليه أيضا الدكتور **عثمان سعدي** بقولة: " بأن الإسلام أدي دور الحامي للهوية الجزائرية لا لأنه دين فقط، وإنما لأنه القلعة التي حمت بأسوارها المنيعة هذه الهوية"[2]،هذه الهوية الوطنية القائمة على الإسلام ليست شعارا، بل فرضتها ودون قصد القوانين الاستعمارية في حد ذاتها، إذ كانت تقيم نوع من التميز العنصري بين السكان الجزائريين والمستوطنين الفرنسين، إذ كانت السلطات الفرنسية تطلق لقب "عربي مسلم" على الأهالي، وكذلك استعملتها في جميع خطابتها تجاههم، وهذا ما أشار إليه **مولود** بقولة: " أما الجزائريون فكانوا يقولون الإسلام الذي كان إنيتهم، l'identité، أو هويتهم ....، كانت الإنية في نظر الجزائريين هي الإسلام، وكلمة الإسلام ومسلم لماذا؟، لأن الاستدمار نفسه قد استفزهم، لأن الاستدمار له سهم في هذا، له دور فيهذا، ونحن واسمحوا لي بهذا التعبير بين قوسين _نشكره على هذا_ كانوا يقولون عنا: فرنسيون مسلمون أوfrançais musulmans mon naturalises، غير متجنسين هذا في بطاقة التعريف(أو الهوية أو الإنية) والجزائريون كانوا لا يقبلون أن يطلق عليهم هذا الاسم، بل كانوا يكتفون بالوصف(مسلم) ويقولون نحن مسلمون".[3]

ومن ثمة كان هدف الاستعمار الأول والأساسي هو طمس معالم الهوية الوطنية ومحاولة تشوية هذا الدين، كما نجد الدكتور **عبد الله شريط** يؤكد في قول له على أن الدين هو عامل الحفاظ على الهوية: "إن عنصر الين كان من بين العوامل الأساسية التي جعلت الشعب الجزائري يحتفظ بشخصيته القومية الإسلامية"[4]، فالإسلام

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص350.

[2] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص132.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية، ج2**، مصدر سابق، ص83.

[4] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص132

كان ولا يزال الدين الرسمي للدولة الجزائرية ورمز من رموزها الخالدة عبر مسيرتها التاريخية "، فدين الدولة الرسمي في هذه البلاد هو الإسلام وهذا مكتوب ومسجل".[1]

فالإسلام كان له دور في تكوين الشخصية الجزائرية فهو أساس الثقافة نظرا لتأثيره على أنماط الثقافة الجزائرية في ثوابتها وقيمها وفي عرفها وفي واقعها الاجتماعي لقرون ملاحقة، كما أكد **الإمام عبد الحميد بن باديس** دور الإسلام في الجزائر بقوله: "نحن قوم مسلمون جزائريون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعوا إلى الكمال الإنساني والمحافظة على هذه التقاليد هي المحافظة على أهم مقومات قوميتها وأعظم أسباب سعادتها وهنائها".[2]

وعلى هذا الأساس المتين الذي يجمع الجزائريين دعا **الإمام عبد الحميد** إلى ضرورة الاعتماد على العقيدة في القول والعمل في سائر الأمور الأخرى: "بسم الله الحق والوطن، نسعي لتحقيق الغايات، وكان المبدأ الأساسي الذي خدم الذات واستعاد المقومات الشخصية الوطنية التي أهدرتها فرنسا، وكانت عقيدة الدين الإسلامي هي الصفة التي صبغت الجزائريين ومكنتهم من البقاء على ثقافة المقاومة "[3]، فمن هذا المنطلق نخلص أن الدين الإسلامي مثل بحق الهوية الوطنية وعمل على حمايتها من التدنيس والتشويه من قبل الاستعمار الفرنسي الذي لم يدخر جهدا في محاولة القضاء على هذا الدين بسبب العداء الشديد للمسلمين أين ما كانوا.

2. دور الدين في الوقوف ضد الحملات الصليبية:

لقد لعب الإسلام دورا هاما في الوقوف ضد الحملات الصليبية التي كانت تستهدف الجزائر منذ العهود الأولى لتواجد هذا الدين في هذه البلاد، فالاستعمار الفرنسي عندما احتل البلاد كان قد شن في نفس الوقت حربا لا هو ادة فيها ضد الإسلام، فهو لم يكتف بتحطيم هياكل التي كانت تقام فيها شعائره فحسب بل تجاوز ذلك كله لتحطيمها معنويا في قلوب معتنقيه، ليضرب بيد من حديد إحدى أهم المرتكزات الأساسية التي تقوم

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية، ج2**، مصدر نفسه، ص 87.

[2] أحمد مريوش: **أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس** ، التربية والابستمولوجيا، العدد 1، الجزائر، 2011، ص138.

[3] نفسه، ص138.

عليها الإنية الجزائرية، وهو ما صرح به الجنرال **بيجو** بقوله: " بعد أن أخضعنا العرب يجب علينا أن ننشر حضارتنا وقيمنا في أوساط البربر"[1]، إذن كانت غاية الاحتلال منذ اليوم الأول هي محاربة هذا الدين بكل الطرق المشروعة والغير مشروعة، كما أن سبب محاربة الدين يرجع إلى الكره الشديد الذي تحمله الذات الصليبية الذات المسلمة عبر العصور العديدة، والتي نمت وتضاعفت بفعل الكره والحقد للفرد المسلم.

وفي هذا السياق يؤكد **مولود قاسم** أن الغزو الاستعماري للجزائر لم يكن له وجه عسكري فحسب، بل كانت غايته صليبية بحته وهذا ظاهر للعيان منذ اليوم الأول يقول: " لقد ذكر الكردينال لا فيجري أنه وكل إليه نابليون الثالث عندما كان رئيسا للدولة الفرنسية أمر توسع وتطوير جامع كتشاوة بعد تحويله إلى كنيسة منذ يوم 5 يوليو1830، في اللحظة التي وضع فيها الجنرال دبورمون العلم الفرنسي على دار الداي"[2]، وإلى جانب ذلك قامت السلطات الفرنسية بتغذية الروح الصليبية التي كانت تتأجج في قلوب الفرنسين بعد أن أدركت أن الإسلام هو الروح التي تقوى بها الشخصية الجزائرية وعامل حاسم في مقاومة، وحفظ الوحدة لذلك عمدت إلى لمحارب المؤسسات الدينية ورجال الدين بمختلف الوسائل والأساليب.

وما يؤكد نوايا الاستدمار في الجعل من هذه الأمة أمة مذبذبة في هويتها ومعتقداتها الإسلامية، بغية تشويه هذا الدين والعمل على الحلول بينه وبين الشعب من خلال تحويل المساجد إلى كنائس، وأيضا محاربة رجال الدين والعلم.

وهذا ما جاء على لسان **شكيب أرسلان**، بأن الوثروب **استوردار زويمر** في أحد تصريحاته يقول: " لا نقصد بنشاطنا التبشيري لدي المسلمين أن نجعل منهم مسيحين بالضرورة، بل هدفنا في الدرجة الأولى هو أن

[1] أحمد بن نعمان: **مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء والخيانة الخفراء**، مرجع سابق، ص84.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص453.

نجعلهم مذبذبين، وأن نزعزع عقيدتهم وأن نفقدهم ثقتهم بأنفسهم، ونضعف تمسكهم بدينهم، ونشككهم في أصالتهم، بحيث يصبحون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيخسرهم الإسلام وإن لم نكسبهم نحن إلى المسيحية".[1]

فالتبشير الرسمي في الجزائر كانت بدايته بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838، بعد تعين القس **أنطون أدولف** على رأسها، إذ كان التبشير في يركز على الأمازيغ القبائل بالدرجة الأولي، فقد رأت فيها حقلا خصبا لتنصير من خلال المسألة الأمازيغية، وضمن سياق أخر يؤكد **الكردينال لافيجري** أن مسؤولية تنفيذ سياسة التبشير التي تستهدف إدخال الجزائريين في بوتقة الفرنسيين روحيا وعقليا قائلا: "ينبغي أن نرقي هذا الشعب ولضرب صفحا عن غلطات الماضي، فأول ما يجب علينا عمله هو الحيلولة بينهم وبين القرآن".[2]

كما عرفت الجزائر خلال عهد الملك الفرنسي **شارل العاشر** فاتحة عهد جديد على الكنيسة لبعث حركيتها التبشيرية مما ساعد رجال الكنيسة على تقلد مناصب مهمة في عهده، فقد شكل الدافع الديني محورا هاما لاستعمار الجزائر، وهو ما صرح به شارل العاشر مخاطبا أساقفة فرنسا: "إن هدفتا أن تقيموا الصلوات في جميع الكنائس متوجهين إلى الله بدعواتكم بأن يحمي رايتنا ويؤيدنا...إن الهدف الذي نصبوا إلى تحقيقه من خلال هذه الحملة يجب أن يرضي فرنسا ويعيد لها شرفها، ويعود على المسيحية بالفائدة بفضل العناية الربانية"[3]، إذن فالهدف الذي جاءت به فرنسا لمحاربة الجزائر يحمل في طياته أبعاد صليبية وحقد شديد للإسلام وللمسلمين.

وفي مقام أخر يؤكد **مولود قاسم** على لسان المبشر المستشرق الفرنسي **زويمر** قوله: "فإن الهدف الذي ينبغي أن يرمي إليه المبشر المسيحي لا يمثل بالضرورة في تنصير المسلم أو المسلمة وإنما له أن يكتفي بإبعادهما عن الإسلام وذبذبتهما، وفي ذلك خسارة للإسلام ونصر للمسيحية، حتي ولولم يتمسح ذلك المسلم"[4]، إذن فالمقصد من هذا الغزو هو طمس معالم هذا الدين الحنيف، الذي هو رمز الوحدة والوحدانية والتوحد الذي يجمع كل

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص446.

[2] أحمد بن نعمان: **تأملات ومواقف**، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص193.

[3] محمد الصابوني: **محاضرات الملتقي الفكر الإسلامي التاسع عشر، ج2**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1985، ص 417.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية، ج2**، مصدر سابق، ص335.

الجزائريين تحت شعار التوحيد، لذلك كانت محاولات الفرنسية لمحاربة هذا الدين وزرع الفرقة والفتنة بين أوساط الشعب الجزائري، بإثارة النعرات وتغذية القوميات من أجل القضاء على هذا الوحدة التي ربطت برباط متين وهو الدين الإسلامي.

هذا ولا تزال تلك الإرساليات التي تدعوا الي التنصير حتي بعد الاستقلال ولن تزول إلى يوم الدين، وهو ما أكده **مولود** بقوله: "وهناك الإرساليات المختلفة التي تنشر، وأستطيع أن أقول لكم أنها أرسلت إلى موطنين في وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، منشورات عنوان الوزارة وعناوينهم الخاصة، ويركزون بالدرجة الأولي على الطلبة، وبدرجة أخص على الطلبات، لأنهم يعرفون أنهم إذا مسحوا امرأة مسحوا عائلة كاملة"[1]، فالهدف الذي ترمي إليه الإرساليات التبشيرية هو التركيز على فئة الشباب بالأخص لأنهم عرضة للاغترار بمغريات الحضارة الغربية وما تقدمه من تسهيلات لمن يعتنق المسيحية.

وحسب تأكيد الشيخ **عبد الرحمان حينكة** في كتابة القيم "**أجنحة المكر الثلاثة**" (التبشير والاستشراق والاستعمار)، "وحين نراقب وفرة أعمال المبشرين والجهود التي يبذلونها لإخراج المسلمين عن دينهم، والوسائل التي يستخدمونها لذلك، لابد أن تهزنا اليقظة إذا كنا مسلمين"[2]، إذن فالإسلام هو الحائل الذي حال دون نجاح ما ترمي إليه السياسية الفرنسية، من تفرقة وإدماج.

وضمن سياق أخر يؤكد الباحث **ساطع الحصري** في كتابة "فرنسا وخطباؤها" ظهور نزعتين أساسيتين في السياسة التي يجب إ تباعها في الجزائر عند بداية الاحتلال وهما: التنصير والفرنسة، وبتعبير أخر العمل على إقامة الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية واللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية... ولأنهم كانوا يرون أن التنصير يساعد على الفرنسة، كما أن الفرنسة تسهل التنصير"، كما كانت الإرساليات التبشيرية تركز على فئة الأطفال اليتامى والمشردين، من أجل تكوينهم وتنشئتهم تنشئه مسيحية، "لتمسيح كثير من اليتامى الجزائريين الذين كانوا

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 450.

[2] محمد الصابوني: **محاضرات الملتقي الفكر الإسلامي التاسع عشر، ج2**، مرجع سابق، ص416.

مشردين ضائعين"[1]، فقد أخذت السياسة التنصيرية في الجزائر أشكالا وألوان مختلفة، على غرار هيئات التعليمية والجمعيات الخيرية، كما عمدت الإدارة الفرنسية وتسهيلا لعمل القساوسة في تغلغلهم في أوساط الشعب أطلقت عليهم اسم: "**الآباء البيض**"، إذ كانوا يرتدون ثيابا بيضاء وبرانيس مثلهم مثل باقي الأهالي تماما، مثل مشايخ الزوايا والمساجد، غير أن القس في العادة يرتدي اللون الأسود كما هو جاري في عادة كل قس مسيحي.[2]

ولعل أخطر ما فعله **الكردينال لا فيجرى**، أنه كان ينصر الأطفال ثم يجعل منهم "**أباء بيض**" ليتولوا الدعوة إلى الديانة المسيحية بين الأهالي، وهو ما أكده تصريح **المارشال بيجو** إن العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسين، ولن يصبحوا فرنسين إلا إذا أصبحوا مسيحين"[3]، كما حاولت السلطات الفرنسية ضرب الإسلام في الصميم وفي عمق داره، فقد استولى الفرنسيون على معظم المساجد بالجزائر، واخضعوها لقراراتهم كما استولت على بذلك على الأوقاف الإسلامية باعتبارها المورد الأساسي للإنفاق على المساجد، ولم يكتفوا بذلك بل سلموا العديد من المساجد إلى طوائف غير مسلمة، فتحول بعضها إلى أديرة "**للآباء البيض**" والبعض الأخر حول إلى كنائس، كما فعل بجامع كتشاوة، وأيضا ربطت السلطات الفرنسية الدين الإسلامي بالإدارة الفرنسية.

وفي سياق أخر يقول **يونس درمونة** الباحث الفرنسي: " وابتكرت السلطات الفرنسية (دين إسلام جزائري) وخصصت له ادارة برئاسة **فردينال ميشال**، وأصبح هذا المدير الفرنسي المسيحي يعني بالدين الإسلامي حتي لقبته جريدة وطنية بالمفسر الجديد للقرآن"[4]، إذن ما نخلص إليه هو أن الإسلام كان له وضع خاص في الجزائر إذ كان هو الحصن المنيع الذي حمي به الجزائريين أنفسهم من الاندماج والتنصير هذا من جهة، وكان رمزا للوحدة والتماسك والانسجام بين فئات المشكلة الأمة الجزائرية من جهة ثانية، رغم محاولات الاستدمار من أجل طمس معالمة والتشكيك في عقيدته التي هي عصمة أمر هذه الأمة وعمادها الذي لا تقف إلا بها.

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر نفسه، ص450.

[2] أحمد بن نعمان: **مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء والخيانة الخفراء**، مرجع سابق، ص87.

[3] نفسه، ص87.

[4] نفسه، ص99.

3. الإسلام دافع التحرر والاستقلال:

آمن **مولود قاسم** الإيمان القاطع بأن الإسلام أسهم أيما إسهام في الصمود ضد العدو الفرنسي، وفي انتزاع النصر فالإسلام في الجزائر لم يكن مجرد استمرار تاريخي ولكنه هو الشعور القوي الراسخ في أعماق كل جزائري بمبادئه ومعتقداته، التي مات من أجلها وتتحرر بفضلها من الاستدمار، وبها دافع عن إنيته وشخصيته ضد الغزو الثقافي والفكري، وضد كل الايديولوجيات الرامية لزعزعة كيان هذه الأمة.

وكما أن للإسلام الفضل في استرجاع السيادة الوطنية، إذ كان هو الدافع والمحفز على ذلك بما يتضمنه قيمه من حث على الجهاد واستبسال في ميادين الشرف، وهو ما أكد علية **مولود قاسم** بقوله: "لولا الإسلام لما تحرر بلد من البلدان، وبدونه لن يتحرر أي بلد من بلاد الإسلام، التي لا تزال مستعمرة في مختلف أنحاء المعمورة"[1]، فالكفاح من أجل الاستقلال كان سياسيا وعسكريا إلا أنه تبني المرجعية الدينية.

كما أن الإسلام كان الحافز القوي الذي بعث في نفوس المجاهدين حب الانتصار "بلا جدل لحب الإسلام الأساس في إنقاذ الجزائر من السيطرة الفرنسية، بل كان المحرك الوحيد لتأكيد الوطنية في مواجهة محاولات إبادة هذه الأمة، يكفي أن نرمز لتأكيد هذا بثلاثة اسماء كلها سمي واحد: أن الكفاح التحريري كان يسمي بلسان الشعب "الجهاد"...ثوار التحرير والمقاتلون من أجل الحرية كانوا يسمون المجاهدين"[2]، فالثورة الجزائرية هي الوحيدة في التي تبنت المرجعية الإسلامية صارخة للتعبير عن هويتها وأهدافها، وفي الوقت الذي أخذت فيه الثورات العربية توجها قوميا عروبيا أو تقدميا يساريا، إذ كانت تعتبر الإسلام دلالة على الرجعية والتخلف.

فمولود ظل يؤكد أن مقوم الدين لا يفصل في أية فترة زمنية سواء كانت الفترة الاستعمارية، أوفي الفترة بعد الاستقلال فالإسلام كما كان بالأمس دعامة للشخصية الوطنية ضد محاولات الفرنسة والإدماج، فهو اليوم يمثل

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص355.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**، **ج2**، مصدر سابق، ص255.

مبعث الشخصية والدستور الذي لابد من الرجوع إليه، وحتي لا نكون مثل بعضهم ممن تنكر له بعد الاستقلال بعد ما انتصرت: " فبهذا الإسلام سنحافظ على حصانتنا ومقومات شخصيتنا، فبه صمدنا، وعلى أساسه قمنا، وبالمحافظة علية ستوفق جميع الجهود، وبذلك لا نكون كما قال **أبو الأعلى المودودي**، عن سائر البلدان الإسلامية التي تحررت أنها كافحت بالإسلام، ولما انتصرت تنكرت له، وقلبت له ظهر المجن"[1]، فالإسلام كان بمثابة الورد الذي يأخذ منه كل جزائري نفحة من نفحاته، لذلك عمدت السلطات الفرنسية إلى محاربة المؤسسات التي تغذي النفوس وتبث فيها ضرورة التحرر والجهاد، وهذا ما أكده المجاهد **الشاذلي بن جديد** بقوله: "في البداية أحب أن أقول أن العامل الديني كان أساسا في نجاح الثورة الجزائرية...فمن جهة كان الدين هو السياج الذي حمي مقومات الشخصية الجزائرية طوال فترة الاحتلال، كما كان أساسا للوحدة الترابية الوطنية خاصة خلال الحرب التحريرية، ومن جهة أخري فإن الدين هو عامل إيجابي في بناء المجتمع، لأن الإسلام بالنسبة لنا هو دين العدالة الاجتماعية الحقيقية"[2]، فالدين كان بمثابة التكنولوجيا إن صح التعبير في واقع الثورة التحريرية عبر تاريخها الطويل، فهو الروح والمحرك في مختلف مراحل الكفاح الوطني، سواء المسلح أو السياسي، لذا كان التحلي بمبادئ الإسلام وسلوكياته تطبع المجاهدين بطابعه.

وفي محاولة أخرى لتأكيد أن للإسلام دور بارز في الثورة الجزائرية هو ما يؤكده **أحمد بن نعمان**، في محاولة الربط بين الجانب الروحي بالجانب المادي، أي ربط الدين بالثورة، فقد شرح دور الدين في اندلاع الثورة مستندا إلى المعطيات الدينية العقيدية أي _الإيمان_ والحاجة إلى العدالة والديمقراطية والمبادئ الإسلامية، وأكد على الصبغة التي أعطت صفة "**المجاهد**" و"**الجهاد**" لثورة أول نوفمبر1954.[3]

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص351.

[2] أحمد بن نعمان: **تأملات ومواقف**، مرجع سابق، 70.

[3] أحمد بن نعمان: **الجهاد وثورة الاستقلال**، دار البعث، الجزائر، 1982، ص48.

إذن الثورة الجزائرية انطلقت أصيلة مبنية على أسس متينة، وطنية ودينية متكاملة كتكامل (حب الوطن من الإيمان)، أي أنها ذات بعد روحي معنوي، وأيضا لها أوجه مادية ملموسة، كما أثبت الدين الإسلامي لكثير من المشككين في صدق هذه الثورة وغاياتها وأهدافها ومبادئها التي قامت عليها، وللذين كانوا مقتنعين بفكرة أن الاستعمار قضاء وقدر، فكان الجواب الشافي من طرف المجاهدين للذين كان لهم سوء الفهم لمعني القضاء والقدر والتي فهمها المجاهدون بأنها تنص على تغير الواقع مصداقا لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [سورة الرعد: الآية10]، وليس بالرضي بالاستعمار والتحلي بالصبر والاختباء وراء الأعذار التافهة "ليس لدينا بنادق، ليس لدينا دبابات، ليس لدينا طائرات، فلنرضي بواقعنا، ونحاول أن نحسن منه شيئا فشيئا"[1].

إذن ما نخلص إليه من كل ما سبق ذكره أن العامل الديني وبكل ما في هذه الكلمة من معاني أن الدين كان المحرك الرئيسي الذي تحول إلى جهاز رفض ومقاومة فعالة، ضد جميع أنواع الغزو في فترات زمنية حرجة من تاريخ هذه الأمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن جميع محاولات الغزو والسلب والمسخ والتشتيت لهذه الأمة لم يكتب لها النجاح في القسم الأكبر منها، وبعبارة أوضح لولا الإسلام وما احتوي علية من تعاليم وحسن استمساك الجزائريين بقيمة لفقدوا هو يتهم وبالتالي أصالتهم.

4. نظرة مولود قاسم للدين الإسلامي:

إن معرفة الإسلام على حقيقته من أهم الأصول التي يقوم عليها بناء الشخصية الحضارية للأمة الإسلامية، ولا يتبين ذلك إلا لمن فقه حقيقة الإسلام وأبعاده ومقاصة، فالإسلام نفسه حث على ضرورة معرفة الدين ومقاصده وابعاده الحضارة عموما، وهو ما تنبه إليه **مولود قاسم**، فقد أكد أن الدين كما كان بالأمس هو الحامي والمحافظ على الهوية.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص242.

فهو اليوم يمثل الباعث الشخصية الوطنية من جديد، وذلك لا لشيء إلا لأنه دين شامل وكامل ومتكامل من جميع النواحي والجوانب "إن الإسلام دين ودولة، وأنه بصفته دين سماويا كاملا، والدين عند الله الإسلام، فهو فياض بالروحيات والأخلاقيات والمعنويات عامة، كما أنه دين العمل والجهد، ودين القوة والجهاد، وليس دين الاستكانة المهانة وقبول الجور والإذلال، بل هو دين العدالة والإنصاف، ودين العزة والأنفة والشرف، ودين التساوي في الفرص والإمكانيات بالنسبة للجميع"[1]، **فمولود** أمن بأن الإسلام الذي أسهم في الصمود وانتزاع النصر، هو نفسه يمتلك القابلية الكافية لتوجيه الأمة نحوى البناء والتطور العصري المتزن بين الإنية والأصالة.

كما يؤكد **مولود** بأن الإسلام يمثل ثورة شاملة على جميع النواحي والأصعدة" وذلك أن الإسلام ثورة شاملة لمختلف نواحي النشاط الإنساني، بما يشمل عليه من قيم ومعاني، وما يحمله من روح لا تكتفى بالترقيع والتصليح، وإنما تتوق دوما إلى التغيير الجذري"[2]، كما كان **مولود** من أشد معارضي الحركة الصوفية، لأنها تعطي للإسلام معنى خرافي وتجعل منه دينا للأموات بدلا من الأحياء يقول: "هذا هو الإسلام الذي يسيئ فهمه الكثيرون الذين هم حتى عندما يسمعون مثلا بأية دراسة إسلامية يظنون أن هذا الشخص الذي يحاضرهم في موضع إسلامي سوف يكلمهم فقط عن الجنة والنار، وعندما تراجعون القرآن تجدون الدنيا والأخرة"[3]، فالإسلام ضم الدنيا ودعا إلى ضرورة العمل والتعلم وحارب الجهل والكسل.

لهذا كانت جميع خطابات **مولود** تدور حول الإسلام وتنهل من فيضه الصافي الذي يدعوا إلى العلم والتطور والرقي الحضاري "إن الإسلام دين حضارة ودين فكر وليس فقط دين عبادات، ودين معاملات"[4] فالأمم لا ترتقي إلا إذا اعتنت بالعلوم ورأس هذه العلوم هو العلم الشرعي.

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص ص 112-113.

[2] نفسه، ص210 .

[3] نفسه، ص606.

[4] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية، ج1**، مصدر سابق، ص 218.

لهذا السبب بدأ لتأصيل للعلوم بإنشاء المعاهد الإسلامية وادراج التعليم الأصلي من أجل بلوغ هذه الأهداف، لهذا حرص **مولود** على أن يكون الشخص الذي يتقلد المناصب ذا علم ودراية بجميع العلوم، حتي الإمام في المسجد مكلف، ولا يقتصر دوره على الصلاة وإمامة المصلين فحسب، بل يجب أن يكون الشخص موسوعي المعرفة: "لا بد لكم من علم الاجتماع والفلسفة، والوجودية وكتب أفلاطون وكتب زرادشت، أوفلان الألماني...أوتوما الإكويني المسيحي، أو ابن ميمون اليهودي الذي كان تلميذا لابن رشد"[1]، **فمولود** كانت له نظرة واسعة الآفاق ولم يكن ممن يرى في الفلسفة أو المنطق من الكفر في شيء كما هو الحال لدي معظم الناس بما فيهم الدعاة والأئمة.

أما بالنسبة لرؤية **مولود** لدور الدين على المستوي الاجتماعي، فكان يعتبره دائما دين الكرامة والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية النبيلة، أنه لا يمكن لم تشبع بالإسلام روحا ومعني إلا أن يكون من أنصار العدالة يقول: " ...الإسلام أيضا ثورة على الطبقية والعصبية، إذ الشرف شرف العمل فحسب، وحرب على سائر أنواع التميز، سواء كان ذلك بسب الدين أو العنصر أو الحسب أو أي اعتبار طبقي أخر...وقاعدة التفضيل الواحدة هي العمل الصالح والسلوك الحسن"[2]، فالعدالة الاجتماعية تقوم على التأخي والتكافل الاجتماعي والمساواة في الحقوق والواجبات، كما أنها تضمن تكافئ الفرص للعمل وحسب الكفاءة، وتراعي الإنصاف في توزيع نتاج الأمة في إنصاف وبالقسطاس المستقيم.

أما فيما يخص المستوي الاقتصادي فأكد **مولود** بأن الإسلام يقوم على مبدأ الاشتراكية، التي هي أساس ونتيجة تلقائية العدالة الاجتماعية يقول: "وعن مضمون العدالة الاقتصادية التي عليها تقوم إذ الأولي مشروطة بالثانية التي تمدها بالوسائل التي تعطي مفهومها مضمونا، وإن سمحتم باستعمال تعبير الفيلسوف هو **إيمانويل كانط** الذي قال: "إن الإدراك يتكون من عنصرين متكاملين: المفاهيم والإحساسات، فالمفاهيم بدون

[1] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية، ج1**، مصدر سابق، ص 247.

[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص ص213-214.

الإحساسات فارغة، لا مضمون لها ولا محتوي، والإحساسات بدون مفاهيم عمياء لا مغزي لها ولا مدلول"، قلت أن العدالة الاجتماعية مفهوم العدالة الاقتصادية ومضمونها ومحتواها"[1]، وفيما يخص السلوكيات التي تحكم المجتمع والقيم التي تسوده، وأشار **مولود** إلى أن الإسلام لم يغفل عن هذا الجانب المهم في حياة الأمم، فالإسلام جاء لمحاربة الظواهر السلبية التي تخترق المجتمع الجزائري من كل نواحي الحياة وفي كل المجالات يقول: " جاء الإسلام ثورة على الربا وجميع صور تكديس الثروة في أيدي قليلة تفرض حكمها وجبروتها... فإسلام لم يجعل كل المال لصاحبة، بل جعل فيه حقا معلوما واجبا يؤخذ طوعا أوكرها وواجب على المسلمين دولا وأفرادا إطعام الجوعان وإكساء العريان، وسد حاجة معقوله، وهو واجب وليس منحة"[2]، إذن **مولود** يؤكد على مبدأ الاشتراكية التي هي من صميم الإسلام، والذي يري حال مجتمعنا اليوم الذي غابت فيه العدالة الاجتماعية التي تفضي بالضرورة إلى العدالة الاقتصادية، فالغني ازداد غنا والفقير ازداد فقرا على فقر يقول **مولود** في هذا الصدد: "إن الهوة بين العدالة الاجتماعية: كما شرعها الإسلام وحال المسلمين اليوم لسحيقة والحفرة بينهما لعميقة".[3]

كما أن الإسلام دين عمل وتصنيع فهو لا يرضي لأن يمد الفرد يده لطلب المساعدة من الأخرين، سواء أعطوه أو منعوه، وقل ذلك على الدولة الجزائرية، فالإسلام يحث على العمل والاجتهاد وضرورة التصنيع للحاق بركب الأمم المتقدمة في جميع المجالات، يقول: "ضرورة التصنيع في العالم الإسلامي ووجوب اختيار أحسن الطرق لتجنب أمراض المجتمعات الصناعية"[4]، لهذا وجب العمل لكي لا نبقي سوي مجتمعات مستهلكة لما يأتيها من فتات الحضارة الغربية، فالصناعة هي المناعة، وهي أولا وقبل كل شيء حفظ لماء الوجه بين الأمم.

وما يمكن أن نخلص إليه من هذا التحليل للمقوم الأول الذي تقوم عليه الإنية الجزائرية أي-الدين الإسلامي-هو أن الإسلام باعتباره نظام شامل وكامل لجميع مناحي الحياة، سواء في علاقة الفرد الجزائري بربه

---

[1] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية، ج1**، مصدر سابق، ص332.

[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص219.

[3] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية؟**، مصدر سابق، ص336.

[4] نفسه، ص 363.

سبحانه وتعالى، أو بعلاقته مع بقية أفراد مجتمعه، ولعل مقولة الرجل الإصلاحي **جمال الدين الأفغاني** تلخص وضع الدين في الأمة الإسلامية، وأنه السبيل الوحيد لسعادتها يقول: "إن الدين هو قوام الأمم وبه علاجها، وفيه سعادتها، وعليه مدارها، وفي عقائده عماد لبناء هيئتها الاجتماعية، وهو أساس محكم لمدنيتها، فهو السبب المفرد لسعادة الإنسان".[1]

المبحث الثاني: اللغة العربية رمز الهوية الوطنية

أ. اللغة العربية والهوية الوطنية:

إن أية دراسة لغوية تحتاج إلى أخذ الهوية بعين الاعتبار إذا أرادت أن تكون هذه الدراسة تامة وغنية وذات أهمية لأن الهوية ذاتها لا يكتمل مدلولها إلا في جوهر اللغة، إن اللغة والأمة متلازمان ومتعادلان، واللغة هي العامل الأول في تكوين الأمة ونشوء القومية، وهي الجوهر للتميز بين الأمم.

كما أن للغة تأثير واضح على الفكر، فهي ليست مجرد ألفاظ ورموز فحسب، وإنما تمتد إلى أعماق الإنسان، فتحدد فكره وإرادته وعواطفه، فاللغة يعرفها **مولود**: "هي تلك الطبيعة الإنسانية أي الطبيعة الوطنية المشتركة...هي اللغة، إنها التي تكون الخلية، وتطبع الإنسان بطابعها، وتشكله بشكلها، وتؤثر فيه التأثير العميق، الذي يجعل منه إنسانا أخر بمميزاته الخاصة به..."[2]، فاللغة هي رمز الشخصية والسيادة لذلك أولاها الباحثون مكانتها في جميع المجالات التي قد تمس الفرد في طريقة التفكير والعادات والتقاليد والقيم، وهي وسيلة تعبير كاملة وفلسفة حياة.

لذلك فإن الأمة تبقي خالدة ببقاء لغتها وبالمحافظة عليها، وتزول بزوال اللغة، إنها الرابط المتين الذي يلف المجتمع ككل متكامل: "إن الذي يفقد لغته يفقد الخيط الذي يصله بالأجداد، ويفقد معها حلقات ماضيه ويشعر

[1] خليل نوري مسيهر العاني: **الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، 2009، ص18.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص ص57-58.

بفجوة عميقة حقيقية في تطوره يتقطع عنه أصله..."[1]، كما أنه ومما لا ريب فيه أن تركيز **مولود قاسم** على اللغة لكونه كان يدرك أنها المقوم الحاسم في صوغ المواجد وبناء الفكر وإرساء الدعائم المعنوية للمجتمع، فاللغة عامل يصون الكيان ويصنع التربية وينتقل بالهوية أينما سار الإنسان، وأينما حل وارتحل حتي ولو خارج الوطن الأم فاللغة مقوم يكون الإنسان بحكم أولويتها وبوصفها مؤسسة اجتماعية تهيكل الفرد والجماعات، وتتقدم على وجود الاجيال.[2]

وفي السياق ذاته يؤكد **مولود قاسم**: "أن اللغة هي رمز وجود الأمة وبقدر أصالة اللغة والمحافظة على اللغة الأصيلة، أو فقدانها تكون المجموعة البشرية أمة وشعب أصيلا أو مجرد أشتات فحسب...".[3]

فاللغة هي التي تحافظ على هوية كل مجتمع وكيانه وتحمية من التمزق والتشتت والاندثار، وهو ما أكده الفيلسوف **فريدريك نيتشه** بقوله: "اللغة تلزم الفرد في حياته وتمتد إلى أعماق كيانه وتبلغ إلى أخص رغباته وخاطراته، إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانينها، إنها الرابطة الحقيقية الوحيدة بين عالم الأجسام وعالم الأذهان".[4]

فاللغة إذن هي الرابط الموحد للأمة والحافظ لها من الزعزعة والانكسار والتفكك، بل حتي أنه يصعب الفصل بينها وبين من يستعملها، إذ هي كما يقول **جون جوزيف**: "إن اللغة هي الأساس الصلد الذي تقوم عليه قصة الأمة"[5]، وضمن هذا الطرح يتجلى موقف **مولود قاسم** من مكانة اللغة ودورها في حياة الأمم، وفي تميزها ومن ثمة في إنيتها، فاللغة ليست جهاز آلي يسمح بإنتاج الكلمات والنصوص: "إن اللغة ليست إلا الصورة الخارجية للتفكير والإحساس، الواقع أنها أكبر من هذا، فهي تلك الصورة التي تعطي محتواها لونا وشكلا وقواما

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 58.

[2] عبد اللطيف عبادة: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم المفكر المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 130.

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر نفسه، ص 56.

[4] الطيب بن إبراهيم: **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر**، دار ثالة، الجزائر، 2009، ص275.

[5] جون جوزيف: **اللغة والهوية**، ترجمة، عبد النور خراقي، المجاس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2007، ص 08.

هي المحملة بتلك العناصر المكونة للذاتية، للشخصية القومية، فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع أركان الكيان الوطني، وذلك الإسمنت الذي يضمن وحدة البنيان القومي، والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم"[1].

وبخصوص اللغة العربية في الجزائر فقد عرفتها بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، ولعل أبرز الأسباب التي جعلت هذه اللغة تلاقي الترحيب والقبول من طرف القبائل التي كانت تقطن الجزائر "**الأمازيغ**"، وذلك لارتباطها بالدين الإسلامي، كما أن موقع اللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام يعني أن دراستها في الجزائر كان لاعتبارها لغة ثانية إلى جانب الأمازيغية، والتي سوف تتنامي مدام عدد السكان في تزايد وانتشار[2]، كذلك تجدر الاشارة إلى أن ه في الفترة الاستعمارية كانت هناك العديد من المحاولات لزرع الفتنة والتفرقة بين العرب والأمازيغ وذلك من خلال إثارة النعرات والنزاعات لإشعال نار الفتنة، ومع ذلك لم تكتفي السلطات الاستعمارية بهذا، بل كثفت من سياستها وانتهجت سياسية الفرنسة الشاملة وركزت بالخصوص على منطقة القبائل.

فقد كانت بداية الحرب التي أعلنتها فرنسا على اللغة العربية تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال، وذلك عندما بدأ المستعمر في فرض لسانه وتفكيره وأسلوبه الجديد في الحياة، موجها ضربته الأولي للعربية على أساس أنها الوعاء الحامل للثقافة داخل المجتمع الجزائري هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كانت تهدف إلى التفرقة بين الجزائريين، لكن سرعان ما ظهر من تفطن لهذه المحاولات وتولي الدفاع عن اللغة العربية، وهو ما تجلي في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك لاعتبار أن اللغة هي الحصن المنيع الذي تصدي به لعمليات المسخ والفرنسة، فاللغة العربية في الجزائر هي رمز الوحدة الوطنية، وهو ما أكده الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** بقوله: "العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ودخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وانصارها، وهي ممتدة الجذور في الماضي...سلطت سحرها على النفوس البربرية فأحالتها عربية كل

[1] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص56.

[2] جون جوزيف: **اللغة والهوية**، مرجع سابق، ص08.

ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر"[1]، وذلك باعتبار أن اللغة الغربية هي التي صهرت العرب والبربر في ذات واحدة متجانسة ومتفاهمة.

كما كانت تهدف سياسة المستعمر إلى محاصرة اللغة، بتشريعات وقوانين جعلت منها ليست فقط كلغة أجنبية، بل كالعدو يجب القضاء عليه، لذلك وفرت كل الطرق التي من شئنها أن تقضية بها على هذه اللغة وذلك ببث السموم في جسدها وتخريبها من الداخل، ببث اللغة الفرنسية مكانها في بعض المصطلحات والمفاهيم ثم تطورت إلى نشر اللغة بكل قواعدها: "ونعرف أن الاستعمار الفرنسي قد ترك سمومه التي حاول بها اجتثاث عناصر شخصيتنا، وعمل كل ما في وسعه، لاستئصال روحنا ومسخ وإذابة ذاتيتنا"[2]، فالجزائر وبعد استقلالها لم تتخلص من تريكة الاستعمار الفرنسي وخاصة في جوانبه الثقافية منها بما في ذلك اللغة الفرنسية التي يعتبرها البعض على أنها غنيمة حرب يجب الاستفادة منها.

هذه اللغة التي ماتزال لحد الأن تستعمل في حياتنا اليومية، بل الأمر يتعدى ذلك كله إلى أنها تدرس بها المواد العلمية في الجامعات الجزائرية، برغم من محاولات **مولود قاسم** لتعريب التعليم على جميع الأصعدة والمستويات، فاللغة الفرنسية أصبحت اليوم هي بمثابة اللغة الوطنية: "وتجدر بنا صراحة هنا الاعتراف بأن هذا الاستعمار قد نجح، مع الاسف إلى حد كبير في هذا لدي طائفة من مواطنينا، فإن لم يكن في الميدان السياسي فعلى الاقل في المجالين العقلي والروحي في مسخ العقول وغزو القلوب"[3]، كما أن بعض الاطراف ظلوا يحملون في أذهانهم بعض الافكار السوداء، بقلب الثقافة الوطنية رأسا على عقب بعد الاستقلال، ففي أهم بنود السيادة والمتعلق بالمادة الثالثة من الدستور، والتي تنص على أن اللغة الرسمية والوطنية هي اللغة العربية، إلا أن ذلك بقي حبرا على ورق بسبب سيادة اللغة الفرنسية، وبحجة ضعف العربية على مسايرة التطور والحياة العامة والخاصة[4].

---

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص130.

[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص19.

[3] نفسه، ص19.

[4] أحمد بن نعمان: **تأملات ومواقف**، مرجع سابق، ص 212.

فالجزائر عانت من التغريب الرهيب الذي مس جميع المجالات، وأصبح يشكل عبئا ثقيلا في وجه كل محاولة للتنمية، فالاستعمار بكل مظاهرة وأشكاله قد أحدث تمزقا في وعي الضمير العربي، كما أنه أسهم في يقاظ الأمة من غفوتها لرفع التحدي في وجهة الاستعمار الغربي وهو ما يؤكده **البيرمامي** بقوله: " لطالما أن المستدمر يتحمل الاستدمار، فإن البديل الممكن له هو الاندماج وإما التحجر، وبما أن الاندماج مرفوض له...لن يتبقى له إلا أن يعيش خارج الزمن"[1]، لهذا كانت الجهود المبذولة بعد الاستقلال كبيرة من أجل إعادة اللغة العربية إلى مكانتها المرموقة، والتي تليق بها بوصفها عنصرا هاما في الإنية الجزائرية، وهو ما سعى إليه **مولود قاسم** من خلال العديد من الاصلاحات التي مست القطاع التعليمي والديني بالدرجة الأولى ثم باقي القطاعات الأخرى على غرار المؤسسات الإدارية.

ب. قيمة اللغة العربية:

لقد كان **مولود قاسم** مولعا باللغة العربية، ولعل هذا ما دفعه إلى تبني مشروع التعريب كمشروع إصلاحي للهوية الوطنية، فاللغة في نظرة من أهم المرتكزات الأساسية الإنية الجزائرية، فاللغة هي: " كائن حي يعيش مع الإنسان ويخضع لمختلف مظاهر التطور التي يمر بها الإنسان في بيئته، فأي تغير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من الزمن"[2]، واللغة هي في نفس الوقت طاقة إنسانية، ذات قوى إنتاجية توليدية فائقة، وهي أساس كل أنواع النشاطات الثقافية وخير دليل يهتدي به الباحث إلى معالجة المجتمعات، بل هي عامل مهم للترابط بين الأجيال، ووسيلة انتقال للمعارف بين العصور.

[1] أحمد ناشف: **لغة التعليم في الجزائر في ظل مجتمع المعرفة**، مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد 1، الجزائر، 2011، ص67.

[2] نذير محمد مكتبي: **الفصحي في مواجهة التحديات**، دار البشائر الإسلامية للنشر والتوزيع، بيروت، 1997، ص13.

ولذلك فالبحث في اللغة هو بحث في الإنسان في حد ذاته، وللبحث في الإنسان وخصائصه طريق علمي يضمن الآمال الأهداف المرجوة من وراء ذلك هو تكوين المجتمعات وهذا لا يتأتى إلا من خلال اللغة، يقول **ليفي ستراوس**: "إننا حين نقول الإنسان...فإننا نعني اللغة، وحين نقول اللغة...فإننا نقصد المجتمع".[1]

وفي سياق أخر تؤكد **نوال عطية** على أهمية العلاقة بين اللغة والفرد والتي تمتاز بالتكامل والانسجام التام تقول: "إن اللغة أعظم اختراع قام به الفرد، وإنها الوسيلة الاجتماعية الأكثر أهمية بالنسبة له من أي وسيلة اجتماعية أخرى، فوظيفة اللغة إشباع رغبات الفرد والتعبير عن الافكار والإحساسات، فاللغة تبرر الفكرة الكامنة لدي الفرد وتظهرها للأخرين"[2]، وبهذا غدت جزءا من الهوية الوطنية إذ تمتلك القدرة على مقاومة كل أساليب الاقصاء، أو الحد من الانتشار أو التطور، ذلك أنها خاصية مهمة تساعد على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة في الخبرات مع الأخرين، سواء الخبرات الماضية أو الحالية.

كما أنها تتكامل مع وظيفتها الأساسية في أنها لسان المجتمع وسمة من السمات الوطنية، كما أن وظيفة اللغة في العصر الحديث إذ لم تعد جزء من المنظومة الاستعمالية فحسب، بل تعددت وأصبحت رابطة لسانية وذاكرة المجتمعات والحضارات، وهو ما أكده **كمال يوسف الحاج** بقوله: "اللغة القومية وحدها تسموا بالفكر إلى درجة العبقرية الخالدة، فالذي يتنازل عنها يتنازل عن جوهره، والتربة الصحيحة لا تتنازل عنها مطلقا ولا تتساهل في هذا المجال، بل تسهر بحذر على أن تتبوأ اللغة القومية مركزا يليق بها، هو الأول في سلسلة المركزية، فلا أمة واعية بدون للغة قومية، إن اللغة القومية هي لغة الأمة كلها"[3]، فاللغة هي روح الأمة وحياتها، وهي تمثل أهم عناصرها وأقوي مقوماتها، وإنها عامل أساسي لازدهار ثقافتها وحضارتها عبر مسيرتها التاريخية، فحياة الأمم تقوم بلغتها، أما الموت بالنسبة لها فليس إلا الحرمان من اللغة الخاصة بها.

---

[1] أحمد بوزيد: **اللغة والهوية**، مجلة العربي، العدد293، وزارة أعلام الكويت، 1983، ص 80.

[2] نوال عطية: **علم النفس اللغوي**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1975، ص21.

[3] كمال يوسف الحاج: **فلسفة اللغة**، دار النهار للنشر، بيروت، 1978، ص152.

ج. خصائص اللغة العربية:

احتلت اللغة العربية مكانة مرموقة في فكر **مولود قاسم** وذلك للعديد من الميزات والخصائص التي تكتسبها هذه اللغة والتي عمل مولود على تبين حقيقتها والكشف عن كنوزها، والتأكيد على علميتها وأنها من أعظم كبريات اللغات العالمية، فاللغة العربية الفضل الكبير في نقل المعارف والعلوم من البلاد العربية إلى البلدان الأوروبية كما أنها لغة عالمية لها وزنها ومكانتها التاريخية التي تشهد لها وهو ما أكد علية **مولود** بقوله: "وليس قصدنا البرهنة على علمية العربية، فالعربية ليست بحاجة إلى هذا وإنما نريد التذكير فقط.."[1]، لهذا ربما لا يدرك البعض أنها لغة عالمية صالحة لأن تتماشى مع متطلبات العصر الراهن، ومختلف التخصصات العلمية وشتى فروعها.

فقد رد **مولود** على من تسول له نفسه التشكيك في قدرتها على حمل العلوم الحديثة ومسايرة التقدم العلمي بقوله: "نريد من البعض الاقلاع عن الزعم بأن اللغة عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة، فالعجز ليس في اللغة، وإنما العجز للأدمغة عن التفكير المستقل للإنتاج والبناء على أساس تراث الاجداد، تراث الحضارة الإسلامية العربية.."[2]، لذا فإن مكمن الخلل ليس في اللغة في حد ذاتها وإنما هو عجز في المتكلمين بها، إذ هي مرأة المتكلم والصورة الخارجية لما يفكر فيه، ولهذا ليس الذنب ذنب اللغة بل يرجع إلى ضعف المتكلمين بها.

وفي سياف أخر يثب **مولود قاسم** على أن اللغة العربية لغة عالمية فلا طالما كانت جل أوروبا تتكلم بها في عصورها الذهبية: "وقد كان العلماء في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا كثيرا ما يفضلون التكلم بالعربية على اللاتينية واللغات المتفرعة عنها غير المتطورة أنا ذاك"[3]، كما كانت العربية الوعاء الذي يحمل العلوم والمعارف التي تعددت وتنوعت والتي كانت تأخذ من العربية حقلا تذوب فيه كل العلوم والتخصصات يقول: "ولا تزال أثار الحضارة العربية ولغتها عالقة باللغات الأوروبية حتي اليوم، فالرياضيات لا تزال تستعمل الأرقام بشكلها، وأحيانا بالاسم

[1] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص21.
[2] نفسه، ص 82.
[3] نفسه، ص 48.

العربي، والجبر كلمة عربية لا تزال حتي اليوم...وفي النبات والكيمياء والجغرافيا والعمران والبحرية..."[1]، **فمولود** كان من أولئك الذين عملوا على المحافظة على اللغة العربية وإعادة بعثها من خلال إحياءها من جراء ما لحق بها كم ضعف ووهن وذوبان من طرف الاستعمار الذي كان يرمي إلى زعزعة كيان الهوية الوطنية، وما سينجر عن ذلك من مسخ وانصهار لذوات وتشتت للمقومات التي تقوم عليها الأمة.

وفعلا حقق الاستعمار ما يصبوا إليه وهو ما يظهر في واقعنا اللغوي الراهن، كما أنه اتبع سياسة التجهيل للحد تعلمها بقواعدها وحاربها مدة من الزمن، إلا أن هذه السياسة لم تنجح في شقها الكبير منها، بل بقيت هذه اللغة صامدة محافظة على وجودها، وهو ما أكده **عبد الكريم غلاب** بقوله: "كان المنظرون الاستعماريون يؤكدون أن الإسلام واللغة العربي هما ركيزتا هذه الشخصية، فقد حاولوا أن يهدموا الركيزة الأولى عن طريق ما يسمي بالسياسة البربرية، كما حاولوا أن يهدموا الركيزة الثانية بإحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية وللقضاء على الذاتية".[2]

كما أكد **عبد الكريم غلاب** على مكانة اللغة في المحافظة على الشخصية الوطنية واستمرارية الروابط التي كانت تربط المجتمع بغيره من المشرق العربي والمغرب العربي: "كان هذا التعليم المعرب قد ساهم بحظ وافر في استمرار الرابطة التي حاول الاستعمار أن يقسمها عن مشرق الوطن العربي والمغربي[3]، إذن اللغة هي أبرز مقومات الهوية الوطنية وهو ما دفع بالمجتمع الجزائري للمحافظة على عروبته ولغته داعيا إلى اعتبارها لغة رسمة في المدارس والادارة وهذا ما جاء على لسان الشيخ **البشير الإبراهيمي**: "إن لغة العرب قطعة من وجود العرب وميزة من ميزاتهم، ومرأة لعصورهم المحاطة بالمجد والعلم والدولة والسيادة "[4].

---

[1] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص48.

[2] عبد الكريم غلاب: **التعريب ودوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي**، بيروت، 1982، ص154.

[3] نفسه، ص162.

[4] أحمد بن نعمان: **التعريب بين المبتدأ والتطبيق**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص180.

ومن هذا المنطلق دعا **مولود** إلى ضرورة إحياء اللغة العربية ووجوب التدريس بها وتعميم استعمالها في جميع القطاعات، فقد رأى بأن المجتمع يمر بأزمة ثقافية حادة يقول: "إن أزمتنا اللغوية ليست أزمة اللغة ذاتها، وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة، أي أن العلة ليست في اللغة وإنما في الذين يتعاملون مع هذه اللغة"[1]، لهذا إن أهمية اللغة في تعلمها وتعليمها، لا باعتبارها مادة دراسة فحسب، ولكن بوصفها محورا أساسيا في بناء الفرد الجزائري من كل جوانبه: "فمن الضروري إبراز طموحات اللغة العربية في هذا العصر، أن تكون لغة العلم والحضارة، مثلما كانت خلال العصور العربية الزاهية"[2]، كما أنها ليست أداة ووسيلة للحفاظ على الشخصية وضمانها لترابطها ولتماسكها فحسب، بل هي أساس كل نهضة وكل تطور مستقبلي، ولذلك كانت هدفا استراتيجيا نلمسه بوضوح لدي تتبع المواحل اللغوية.

ولذا كان **مولود قاسم** يري أن الرجوع إلى الأصالة والهوية لن يتم إلا من خلال الاستعمال الموسع للغة العربية وجعلها قادرة على تحقيق الابلاغ والتواصل المعرفي، ولذا لابد من احداث نوع من التناغم والانسجام للغة مع بقية العناصر المكونة للإنية الجزائرية، كما أن استعمالها استعمالا كاملا وشاملا لا يمكن إلا أن يعزز الانتماء إلى الهوية الجماعية، فاللغة بالنسبة لنا نحن الجزائريين عنصرا أساسيا في هو يتنا وشخصيتنا وفي طريقة تفكيرنا.

ومن هنا نشأ ذلك الاستلزام المنطقي بين العروبة والوطنية، لهذا من الخطأ إلغاء أو الفصل بين اللغة والوطنية بالنسبة للإنية الجزائرية، ولهذا فإن الدفاع عن اللغة العربية اللغة الوطنية هو في نفس الوقت دفاع الوجود الحضاري المتميز للشخصية الجزائرية، وإن سيادة أمتنا من سيادة لغتنا الوطنية.

وإذا كان اللحاق بالركب الحضاري والتطور العلمي لا يكون إلا باستعمال اللغات الأجنبية بوصفها وسيلة جاهزة تسعي جميع المقومات الضرورية إلى ذلك، كما يدعي أعداء اللغة العربية، فإن هناك من يري عكس ذلك تماما بأن التطور والتقدم لا يكون إلا باللغة الأم: "إن مواكبة حضارة العصر الحديث لن تكتمل بالنسبة إلينا

[1] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص68.

[2] نفسه، ص 68.

معشر العرب، إلا إذا توازنت فيه ذاتيتنا العربية مع إنسانيتنا الحضارية، والمقوم الجوهري لهذه الذاتية هو العربية التي بقيت أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الحقل الدولي عنصرا جوهريا للسلام في مستقبل الأمم والشعوب"[1].

د. موقف مولود قاسم من الفرانكفونيين:

تعددت أراء **مولود قاسم** واختلفت مواقفه من أصحاب النظرة الفرانكفونية التي تري في اللغة العربية على أنها لغة ضعيفة وهي في ذات الوقت تتبني اللغة الفرنسية وتدعوا إلى تبنيها كونها غنيمة حرب، وعلى هذا الأساس يقسمهم مولود إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: وهم الذين يجهلون اللغة العربية، ويشككون في عراقتها وعالميتها ويصفنها بالعجز عن التعبير عن العلوم الحديثة يقول فيهم: "يقبعون في الجهل المركب، إذ يحكمون على هذه اللغة بالجمود والموت، وأنه ليست لغة عالمية، وأنها عاجزه عن التعبير... إن كلام شخص عن موضع يجهله يسمي لدي العرب جهلا مركبا وفي الغرب ادعاء... فهؤلاء الأنصاف المثقفين أسميهم يتامى التاريخ فهم لا شرقيون ولا غربيون ولا جامعون بين فضائل هؤلاء وأولئك إنما منبوذون ممسخون يجب علينا محاربتهم"[2]، وهذا راجع لعدم معرفتهم باللغة العربية، كلاما وكتابة وهم إلى جانب ذلك يحملون العداء الشديد للغة العربية ويحاولون إزالتها وإحلال محلها اللغة الفرنسية، التي هي في نظرهم هي لغة العصر.

القسم الثاني: أصحاب هذا الرأي هم أقل خطورة عن سابقيهم لأنهم لا يعتدون على اللغة العربية بالسخرية والتهكم، إلا أن نظرتهم هذه فيها وع من الشك والريب يقول عنهم: "ينظرون نظرة الشك إلى العربية، ومكانتها بين اللغات العالمية الكبرى، بدون أن يهاجوها أو يسخروا منها علانية لا يحترمونها، ويكتفون بسوء معاملتها

[1] أحمد بن نعمان: **تأملات ومواقف**، مرجع سابق، ص 55.

[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص21.

ووضعها جانبا بنوع من نظرة الشفقة على ذويها، والاستعلاء عنهم واشعارهم أحيانا بأنهم في الحقيقة مساكين يرثى لحالهم".[1]

القسم الثالث: وهم حسب **مولود** أحسن من الفئتين السابقتين: "هم الأحسن نسبيا... فهم الذين رسبت في أعماقهم بذور المستعمر وتأثروا بها، ويبرز ذلك في سلوكهم بدون شعور ولا نية سيئة منهم وهؤلاء نجدهم من بين أحسن عناصرنا الوطنية"[2]، فمعظم هؤلاء كان يعارض مشروع التعريب الذي أتى به **مولود**، وذلك لاحتقارهم اللغة العربية وعدم اطلاعهم عليها وتمكنهم منها مما دفع بهم إلى الوقوف ضدها، كما أنها في نظرهم لغة مية ولم تعد صالحة لوقتنا الحالي، ولمسايرة التقدم العلمي والتكنولوجي، لذا وجب البحث عن لغة كفيلة بتحقيق هذا التقدم وهو ما يمكن أن يكون في اللغة الفرنسية: "لم تعد لغة علمية، إنها عاجزة عن التعبير عن الاصطلاحات الحديثة، وأنها لم تعد صالحة إلا للمسجد في أحسن الأحوال للخطب الرنانة الجوفاء..."[3]، لكن ما لا يخفي هو أن اللغة الفرنسية اليوم تنتشر بشكل رهيب بل وأنها يدرس بها في جميع التخصصات العلمية، وهذا ما يؤكد التبعية الاستعمارية حتي بعد الاستقلال، ولعل مقولة الجنرال **شارل ديغول** تكفي لوصف حالنا اليوم إذ يقول: "وهل يعني أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم يترتب التخلي عنهم بعيدا عن أعيننا، وقلوبنا، قطعا لا، فالواجب يقتضي منا مساعدتهم لأنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا"[4]، ولكن ذلك لم يكن ليثني من عزيمة **مولود قاسم** في سعية لإعادة الهيبة اللغة العربية، وإعادتها إلى مكانتها المرموقة في أعلى السلم الثقافي الذي يطبع الإنية الجزائرية، وأهم ما قام به **مولود** بعد الاستقلال هو نشر مقال بعنوان: "**تعريب الأمخاخ والقلوب قبل تعريب الألسنة**"، فقد جاء هذا المقال تأكيد أن الاستعمار قد نجح في إذابة المجالين العقلي والعاطفي للعنصر الجزائري، وأنه أولا لابد من إعادة الصفاء للقلوب وللعقول التي تحتقر اللغة العربية وذلك نتيجة الرواسب التي خلفها الاستعمار،

[1] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص21.
[2] نفسه، ص22.
[3] نفسه، ص 21.
[4] شارل ديغول: **مذكرات الأمل**، منشورات عويدات، بيروت، د ت، ص 47.

والذي عمل على استهداف العقول بعد استهداف الحقول، واستهداف جوهر الإنسان لتدميره من الداخل بتقويض بنيانه وتذويب كيانه، وتغير لسانه وغزوا فؤاده، وحقنه بأمصال (الثقافية واللغوية والدينية) من غير فصيلة الأصلية النقية.

المبحث الثالث: التاريخ المشترك للإنية الجزائرية

أ. التاريخ والهوية الوطنية:

إن شعب بدون تاريخ هو شعب عديم الهوية وفاقد للذاكرة، يعيش على هامش التاريخ، كالنباتات الطفيلية العارضة التي تنبت في الرمال الصحاري دون جذور ضاربة في الأرض، فتضل معرضة للزوال في كل حين، دون أن تترك أثرا يذكر الأحياء بها في الوجود، ذلك أن بقاء الكائنات المشابهة لها مرهون بمدى ضرب جذورها في الأعماق، فإذا هي فقدت الجذور فقدت الحياة، وخسرت البقاء بالضرورة. على أن الفرق بين عالم البشر وعالم الشجر يكمن في أن الأول هو الذي يقوى جذوره ويمدها طواعية ويحافظ عليها بإرادته الواعية، بينما الثاني تبقيه جذوره الممتدة القوية وتحافظ عليه في مواجهة الهزات العنيفة التي تعصف بكيانه على مر فصول الأيام وتبديل الأحوال الجوية المتقلبة.

وعليه فالتاريخ ليس بضاعة تستورد مثل المواد الاستهلاكية وإنما هو فيض غزير متجدد الأخذ والعطاء تصنعه الأمم والشعوب خلفا عن سلف لتجدد به كيانها كتجدد الهواء النقي في رئتي الإنسان، وعليه أن وحدة الهوية تنموا بمعية التاريخ، حيث إذا سلمنا بأن الهوية والانتماء لا تتكون وتترسخ بقرار ولا تحذفه أو تعدله بقرار، وإنما هو نتاج صيرورة تاريخية تتولد عنها خبرات مشتركة يتبناها أفراد المجتمع، وتضمن استمرارية الأمة وخصوصياتها التي تتطور بالتحديث من داخلها، وليس من خارجها[1].

[1] محمد العربي ولد خليفه: **مسألة الثقافة وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية ومنشورات ثالة، الجزائر، 2003، ص178.

لهذا يحتل التاريخ مساحة مهمه في مفهوم الإنية عند **مولود قاسم**، فالتاريخ في نظره روح الأمة وعصب حياتها فهو ليس مجرد وقائع مضت، إنما هو الأعمدة التي تستند عليها والركائز التي تتشبث بها وهو شهادة ميلادنا وبطاقة إنيتنا ودليل وجودنا المحدد لمكانتنا بين الأمم: "علينا أن نهتم بعد اليوم أكثر من ذي قبل بسجلات وجودنا بين الأمم، وأن لانهمل أوتادنا التاريخية، وهي الأعمدة التي نستند إليها والركائز التي نتشبث بها، وشهادة ميلادنا، والسوابق العدلية لنا، وبطاقة إنيتنا أو تعريفنا ووثيقة وجودنا في سجل الوجود"[1].

وهذا ما دفع **مولود** لتقصي والبحث عن الوثائق والكتب التي تتحدث عن تاريخ الجزائر، ولعل أهم ما قراءه عنها هو ما كان أيام شبابه وهو طالب في تونس بالزيتونة: "وفي تونس حيث استطعنا هناك أن نقرأ كتبا مثل كتاب الجزائر **لتوفق المدني** رحمه الله وتاريخ الجزائر في القديم والحديث **للشيخ مبارك الميلي** رحمه الله وكتابات **الأمير شكيب أرسلان**، وكتاب المسألة الشرقية **لمصطفي كامل المصري** والعروة الوثقي **لجمال الدين الأفغاني** و**محمد عبده** وغيرها...".[2]

بإضافة إلى العامل أخر تمثل في تأثر **مولود** بأعلام الفكر الألماني وعلى رأسهم **شوبنهاور** و**فختة** و**هيغل** و**كانط** حيث رأي فيهم القدوة في حب التاريخ وتمجيده، وهذا ما دفعه إلى البحث والتنقيب عن الأصول والجذور التاريخية للأمة الجزائرية، فالتاريخ بالنسبة **لشوبنهاور** كان بمثابة العقل للأفراد فمن فقد تاريخه فقد عقله "إذ هو الوصل بين الأجداد والاحفاد، أو ذاكرة الأمم، كما سماه حكماء أعلام: "فهو بالنسبة للأمم كالعقل للأفراد" كما قال الفيلسوف الألماني المشهور شوبنهاور، "يحب كالإنجيل ويلقن للصغار ويدرس للكبار، بنفس التقديس والإجلال كما قال فيلسوف أخر **يوهان غوتليب فختة**"[3]،كما بحث **مولود** عن التاريخ الجزائري قبل الحقبة الاستعمارية الحافل بالبطولات والإنجازات ذلك التاريخ الذى كان حتى قبل الفتح الإسلامي، خلاف ما

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **ردود الفعل الاولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر**، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 13.

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص72.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **ردود الفعل الاولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر**، مصدر سابق، ص11.

كان يركز علية بعض المؤرخين أمثال الراحل **أبو القاسم سعد الله** الذي كان يركز على تاريخ ما بعد الفتح الإسلامي فهو كان يرى في تاريخ ما قبل الفتح هو عبارة عن تشبث بالأشباح التي كانت كـ "**ماسينيسا**" و"**يوغرطة**"[1].

لهذا كان تركيز **مولود** على الحقبة التي سبقت الفتح الإسلامي والتي يعتبرها من أهم المراحل التاريخية التي مرت بها الأمة الجزائرية، لذلك عمد **مولود** إلى البحث عن الوثائق الخاصة بهذه الفترة الزمنية المهمة وهو ما جمعه في كتاب تحت عنوان "**شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**" والذي قال عنه: "إن القصد من هذه الدراسة هو إحكام الصلة بين حلقات سلسلة تاريخ أمتنا الجزائرية العريقة، وإبراز ما كان لها من شخصية دولية متميزة، ووجود دولي بارز، وهيبة عالمية أطبقت الأفاق"[2]، لهذا كان سخط **مولود** على أسلفنا لعدم تدوينهم لتاريخهم وأهم الأحداث التي عاشوها، لذا كانت دعوته إلى تسجيل التاريخ والاهتمام به ولحفاظ عليه من التحريف والتزوير "إن أجدادنا أنجزوا جلائل الأعمال ولكنهم لم يسجلوها، فلنقم نحن بمثل ما قاموا به وأكثر...ولكن لنسجل ما نقوم به، زيادة على ذلك وتكملة له وتخليدا، ما خلد الإنسان والخلود لله"[3].

لهذا اهتم **مولود** بالدفاع عن الوجود السياسي للأمة الجزائرية قبل الفترة الاستعمارية وإبراز مكانتها الدولية التي كانت تحضي بها، إذ كانت سيدة البحر الأبيض المتوسط على مدار العديد من العهود.

فالهدف من التاريخ هو ربط الناشئ بالجذور، لأن انطلاقة نحو المستقبل لا تكون إلا بتحديد المعالم السوية والانطلاق من حقائق موضوعية حضارية يمليها الواقع التاريخي، وهو ما يؤكده **مولود** بقوله: "أننا نقدر كل التقدير شدة تعلق الأمم بتراثها وشخصيتها واعتزازها بماضيها وعراقتها واشادتها وأصالتها وعدم إدارة ظهرها لأسلافها

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص143.
[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1**، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص9.
[3] نفسه، ص27.

ومنطلقاتها وذلك أن الأمم بأصلها وأصالتها تأخذهما في الاعتبار في نمزها وتطورها"[1]،كما ألح **مولود** على أهمية التاريخ وقيمته التي لا تقل أهمية عن العناصر الأخرى المكونة للإنية الجزائرية لهذا حث على وجوب دراسته وتقديسه والاهتمام به لأنه كما يقول: "فالتاريخ مرآة الماضي، ومنهاج استخلاص التجارب ولكن أيضا وسيلة لغرس حب الوطن لدي الشباب، فهو الإسمنت الروحي لتقوية وحدة الأمة وتعزيز تماسكها وتوطيد أركانها"[2] كما يوافق **مولود الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس** حين أقر أن دراسة التاريخ فرض وواجب على كل فرد يدعي الانتماء لهذه الأمة ويعمل على حمايتها والذود عنها وعن شرفها يقول: "والنسبة للوطن توجب علم التاريخ"[3]، فقد قرن وربط بين تعلم التاريخ وشرف الأفراد: "فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه"[4]، فالتاريخ هو العلم الذي يظهر للإنسان تقصيره في الواجب علي حد قول الفيلسوف الألماني **إيمانويل كانط** .

كما يعتبر **مولود** التاريخ هو الأهم في كل ثقافة وهو البداية والنهاية وهو الزبدة التي نستخلصها من دروس الزمن فهو: "يعمق الوعي بالذات وتقوية الاعتزاز بالوطن والشرف بالإنية الوطنية "[5]، فالوعي بالتاريخ هو ذاكرة الأمم، فهو يكون هويتها وماهيتها وإنيتها، لأنه يحمل ويعبر عن الألم وآمال الأمة والذي يدفعها إلى البناء والتشييد واستشراف المستقبل.

فالتاريخ هو روح الأمة وعصب حياتها، لهذا يدعوا **مولود** إلى إزالة الشوائب والتحريفات التي علقت بتاريخ هذه الأمة العريقة من جراء السياسة الاستعمارية التي ما فتئت تحاول تشويه هوية هذه الأمة ومسخها والتشكيك في وجودها:

---

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج1**، مصدر سابق ص13.

[2] نفسه، ص27.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج2**، مصدر سابق، ص365.

[4] نفسه، ص 365.

[5] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج1**، مصدر سابق، ص28.

"نزيح الستار عن تاريخنا لنظهره في ثوبه الطاهر، في ثوبه المجيد، كما كان وكما تركه لنا أسلافنا الأمجاد"[1].

كما أمن **مولود** الإيمان القاطع بأهميته التاريخ في حياة الأمم ودوره في أي مجتمع، لذا عمل على إبراز أهميته من خلال العديد من الأعمال على غرار إصدار مجلة "**الأصالة** " التي كان جل محاورها متعلق بتاريخ الجزائر كما عمل على أن يكون تاريخ هو أحد المحاور الرئيسية في ملتقيات الفكر الإسلامي، فقد أشار إلى ذلك في حديثه عن الهدف والمغزى من هذه الملتقيات الفكر الإسلامي: "هذا هو المقصود من مغزى هذه الملتقيات كلها التي نعقدها في مختلف مدن القطر...هي تناول فترات هامة من تاريخ تلك المنطقة بتوسع وبطريقة شاملة كاملة بقدر الإمكان"[2]، كما عاتب **مولود** من عارض فكرة التطرق إلى تاريخ الجزائر في هذه الملتقيات، حتى أنه رفض مشاركتهم في هذه الملتقيات وأن عليهم البقاء في بلادهم: "فلتبق في بلدك ابق هناك، ولا تأتي إلى الجزائر أذا كنت لا تريد أن تسمع شيئا عن تاريخ الجزائر، وجهاد الجزائر واستماتة الجزائر".[3]

فالتاريخ حسب **مولود** يؤدي ضمان الوحدة الرابية ومنه إلى ضمان الوحدة التاريخية التي تعزز الوحدة الوطنية وتمثل الروح الجماعية للأمة كلها [4]، لهذا يدعوا **مولود** إلى ضرورة تحقيق الوحدة التاريخية التي تضمن التراث السياسي القديم للدولة الجزائرية في جميع العصور دون انقطاع منذ بدايتها الأولى: "الجزائر لها ذاتيتها، كانت لها شخصيتها منذ القديم، قبل الإسلام، بل قبل المسيحية أيضا، كان يوغرطا... قبل الإسلام، بل قبل المسيحية أيضا، ومنذ ذلك الحين وذاتيتها متميزة قائمة بذاتها"[5] .

لهذا يؤكد **مولود** على الاستمرارية التاريخية للأمة الجزائرية على مدي القرون الطويلة والأزمنة الغابرة، فالجزائر كانت موجوده منذ **ماسينيسا** و**يوغرطا** وبعدها توالت عليها العهود الإسلامية ودويلات التي مرت بها من الدولة

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص158.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم أنفصالية، ج2**، مصدر سابق، ص207 .

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص231.

[4] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص80.

[5] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية، ج1**، مصدر سابق، ص244.

النوميدية: "من الدولة النوميدية ... ثم جاءت الدولة الإسلامية حيث كنا جزءا من الدولة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة الرابعة، ثم العهد الأموي والعباسي، حيث تأسست الدولتان الرستمية ثم الزيرية، ثم جاءت الدولة الحمادية ثم الدولة الزيانية ثم الدولة الجزائرية العثمانية، ثم دولة الأمير عبد القادر وهي كلها دول جزائرية متعاقبة".[1]

إذن أمن **مولود** حتي الرمق الأخير من حياته بوجود دولة جزائرية مستقلة منذ القديم، إذ عرفت العديد من التشكلات في شكل سلسلة لا تعرف الانقطاع حتي العهد العثماني الذي يعد من أبرز العهو د التي عاشتها الجزائر والذي تميز بعقد الجزائر العديد من المعاهدات والاتفاقيات مع العديد من دول العا لم التي كانت تطلب الأمن والحماية تحت وصايتها.

ب. الرد الفصيح على من أنكر التاريخ:

اعتبر **مولود قاسم** أن كل ما كتب حول الجزائر من طرف العديد من المؤرخين الفرنسين وتبعهم في ذلك العديد من المؤرخين العرب والمستشرقين، أن هذه الأمة لا وجود لها وهي دولة حديثة المنشئ وأن تاريخها مشكوك في أمره، ولعل أول ما تجدر الاشارة اليه هو أن الاستعمار حاول كل ما في وسعه إلى تشويه تاريخ هذه الأمة ومحوا الذاكرة الجماعية لأفرادها: " أن الفرنسيون كانوا يحتاجون إلى تبرير استعمارهم ... كانوا يقولون أن هذه البلاد لم يكن لها تاريخ ... لم يكن لها أمجاد لم يكن لها وجود تاريخي كدولة، وكأمة وكشعب "[2]، فتاريخ الجزائر تعرض طيلة مئة واثنين وثلاثين سنه إلى التشويه والتحريف والمسخ من طرف السلطات الاستعمارية، والتي كانت تستهدف بعد نهب الخيرات طمس الهويات يقول **مولود**: "على أني ومع كل التحري لا أكتم القارئ أنه حدث

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص89.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية واصالة**، مصدر سابق، ص159.

اغلب المؤرخين الفرنسين لم يكونوا يبالغون في رصد مناقبنا بل في مثلنا ولم يكون يبالغون نحونا في المدح بل في القدح، وأنهم كانوا يتقصون جلال أعمال سلفنا، ويتجاهلون امجادنا بل وينكرون حتى وجودنا"[1].

وفي سياق أخر يؤكد **مولود** أنه هناك العديد من المؤرخين والشخصيات الذين أنكروا وجود الدولة الجزائرية والتي قال عنها في أحد الأيام الكاتب العام الفرنسي **موريس طوريز**: "إنها في طور التكون خليطا من عشرين جنسا "وقال عنها أيضا **ادغار فور**، رئيس الحكومة الفرنسية: "أنها لم تكن أبدا أمة ولا دولة في التاريخ"[2]، وهو ما ذهب إليه أيضا الجنرال **شارل ديغول** إذ يقول في أحد خطاباته: " أنها مزيج مزركش من قبائل وشعوب، ومداشر وعناصر متعددة، وليس هناك أمة وليس هناك شعب، وأنه ليس له تاريخ وأنه لم يكن أمة"[3]، فكل هذه الادعاءات والأباطيل تهدف إلى تزوير تاريخ هذه الأمة المجيدة وطمس هويتها ومحوا ذاكرتها الجماعية.

وما زاد الطين بلة هو ما جاء على لسان العديد من المؤرخين العرب والمستشرقين من ذوي القربي وحتي من طرف بعض الجزائريين أنفسهم الذين شككوا في تاريخهم، نذكر منهم **فرحات عباس** الذي قال في أحد تصريحاته: "أن اكتشفت ما يسمي بالأمة الجزائرية سأكون وطنيا ... لكنني لن أموت من أجل أرض الأجداد لأنها لا توجد، لقد سألت التاريخ وكذلك الأحياء والأموات لكن لا أحد أجابني عنها ... يجب التخلص والابتعاد عن كل الأفكار الغامضة والتخيلات الجامدة لنتمكن من ربط مستقبلنا نهائيا بمجهودات فرنسا في هذا البلد "[4]، وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين العرب على غرار **محمد حسنين هيكل الذي** الكتب مقالا يقول فيه: "إن الجزائر لم تكن في فترة من تاريخها أبد أمة ... ليس لها وجود تاريخي على الاطلاق"[5].

---

[1] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج2**، مصدر سابق، ص20.

[2] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج1**، مصدر سابق، ص30 .

[3] نفسه، ص27.

[4] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص ص126- 127.

[5] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج1**، مصدر سابق، ص37.

ورغم منكري الوجود الدولي للجزائر إلا أن مولود كان دائم القناعة والاقتناع بأصالة وتاريخية المجيدة للأمة الجزائرية المجيدة ولعل ما أشفى غليله هو ما أكده **الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس**، حين رد على مقالة **فرحات عباس** إذ قال: "لا يا سادتي ... نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحاضر فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة كما تكونت ووجدت أمم الدنيا ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها ... ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت "[1]، ومن جهة ثانية كان رد **مولود قاسم** على من أنكروا وجود الجزائر بأن وجودها بمثابة البديهية الواضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان: "وما كنا في حاجة إلى الاستدلال على الشمس في رابعة النهار، لولا محاولات منهم الاعتداء على تاريخنا، لولا اقتطاع فصول رائعة من سيرة أمتنا، لولا ميل إلى تمزيق صفحات ذهبية من سجل بلادنا ".[2]

كما جاء رد **مولود** على المؤرخين الفرنسين في سياق أنهم هم لا أصل لهم ولا فصل بل أصلهم الغاليون وأن هذه الأمة ضاربة في عمق التاريخ لا تحتاج إلى استدلال لإثبات وجودها، وهيبتها التي كانت تحضي بها وخاصة في العصر الحديث إذ كانت كبريات الأمم طوال القرون الثلاثة المتوالية منحنية ومتطأطئة الرأس تسترضيها بل وجاثمة تخطب ودها ومتوسلة لها ومستنجدة بها، رغم ما أحيك لها من مؤامرات وما دبر لها من مكائد وما شكل لها من تحالفات لإضعافها والقضاء عليها: "أنها الأمة الجزائرية المجيدة التي لا تقل عراقة، ولا تاريخية ولا أصالة ولا أثالة، ولا أقدمية، عن أية أمة تاريخية عريقة أصيلة اثيلة قديمة والقدم لله "[3]، وفي نقد جاء به **أبو القاسم**

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 127.
[2] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج1**، مصدر سابق، ص 9.
[3] نفسه، ص42.

سعد الله ردا على دعاءات **مولود** يقول: "ولعل مولود لم يجد نموذجا لهذه الدولة في العصور الغابرة، فاكتفى بإبرازه في العصور المتأخر أو ما نسميه اصطلاحا بالعهد العثماني".[1]

ت. أهمية كتابة التاريخ:

يعد التاريخ من أهم المرتكزات الأساسية في مفهوم الإنية الوطنية، لذا خصه **مولود قاسم** بحيز كبير لأنه يمثل الرابط المنطقي بين مختلف الأجيال وفي كل الأزمنة، لهذا يؤكد **مولود** على أهمية كتابة وتدوين التاريخ والحفاظ علية من التحريف والتزييف، كما يدعوا إلى ضرورة إحيائه لأنه يمثل ذاكرة الأمة ودليل على عراقتها وأصالتها وعليه لا بد من إحياء التراث هذه الأمة واعادة جمعه من جديد: " فليكن هناك سباق ومنافسات إيجابية بين مختلف مؤسساتنا وخاصة البلديات ... ليكن هناك تنافس بين مختلف جهات البلاد في إحياء التراث "[2]، لذلك كان **مولود** يعتبر التاريخ أحد المتركزات الأساسية للهوية الوطنية، وأحد الأعمدة التي لا يقوم كيان هذه الأمة إلا به: "إذا كانت الذاكرة شرطا أساسيا لوحدة الشخصية وسلامتها بالنسبة للأفراد فقديما قيل التاريخ ذاكرة الأمم"[3].

فالتاريخ له تأثير قوي على الهوية الوطنية في حاضرها ومستقبلها فمنه تستخلص الدروس والعبر من أجل الانطلاق نحو المستقبل، فالتاريخ يمثل همزة الوصل بين المراحل الزمنية المختلفة: "أن الأمة التي لا تحافظ على الأساس والأصل، لن يكون لها في التاريخ فصل، تدخل المعارك بلا نصل، ولا يربطها بالجذور همزة وصل"[4]، لهذا دعا **مولود** إلى ضرورة اعادة كتابة التاريخ الذى يعد الوعاء الذى يحمل كيان الأمة وهذه الخطوة لابد من التحلي

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص200.

[2] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص144.

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص415.

[4] مولود قاسم: **أصالة أم انفصالية، ج1**، مصدر سابق، ص14.

بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية وذلك باتباع المنهج التاريخي الذي يقوم على جمع الوثائق ونقدها والتأكد من صحتها" ضرورة جمع الوثائق والمستندات من أجل كتابة تاريخنا من جديد وبعقلنة وبطريقة منهجية"[1].

لهذا أكد **مولود** أنه من الواجب تدوين التاريخ بإتباع المنهجية المناسبة لذلك، أي بإتباع المنهج العلمي في التدوين: "هناك من جهة–ما سمي المنهجية العلمية–حيث أن التاريخ أصبح علما منذ **ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون**، له منهجه وله طريقته في نقد الزائف من الصحيح، فلا بد إذن من المنهجية، ولابد من النقد العلمي للتثبت من الصحة"[2].

إذن على ضرورة تقصي الموضوعية في التاريخ رغم ما حل به من تزوير، حتي تكون له المصداقية وابتعادا عن الذاتية: "أما بالنسبة إلى الذاتية والموضوعية، فالذاتية هي أن يكتب الإنسان من جهة نظره فقط، ولا ينظر إلى المصلحة العامة، ولا يتجرد للحقيقة، والموضوعية هي أن يكتب الإنسان كل شيء كما هو، كما لوكان يشرح ضفدعة في المخبر"[3].

وعليه فإن التاريخ هو الكفيل بزرع حب الوطن في نفوس الشباب والناشئة ومن ثمة تكون المحافظة على الهوية الوطنية ولهذا لا بد من التوفيق بين الجوانب الموضوعية والجوانب الذاتية والتي لا يمكن أن يتجرد منها الإنسان في كل الحالات: "هناك إذن جانبان، هناك الموضوعية والمنهجية ... المنهجية المتجردة للحقائق الصارمة في البحث، وهناك أيضا من جهة أخري الناحية الروحية، الدفع العاطفي الشحنة الروحية، الناحية المقدسة للتاريخ"[4]، وعلية فخلو التاريخ من الجوانب الروحية، تجعل من الفرد القارئ لتاريخه وكأنه يقرأ عن أقوام لا تربطه معهم أية علاقة ولا قرابة، وهذا النوع من الكتابة لا يساهم في الحفاظ على الإنية الوطنية ولا يعززها: "فشيء مثل

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص.144

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص84.

[3] نفسه، ص 94.

[4] نفسه، ص85.

هذا لا يلهب الحماس ولا يذكي الروح ولا يغرس الاعتزاز بالوطن في قلب الناشئة، ولا يدفع الأمة إلى الأمام لتحقيق المعجزات"[1]، لكل **مولود** لم يدرس التاريخ بل اكتسبه من خلال قراءته، كما أنه ليس مؤرخا، ولذلك انعدمت المنهجية الخاصة بالكتابة التاريخية في مؤلفاته لكونه درس الفلسفة، وهو ما أدى إلى غياب التحليل المنهجي للوثائق التاريخية، وهو ما عابه عليه **أبو القاسم سعد الله**[2].

فالتاريخ جاء لغرس حب الوطن وتعزيز الانتماء إلى الجماعة والأمة، **فمولود** كان عزاءه وأمله هو أن يصحح التاريخ وأن تغير تلك النطرة تجاهه، وأن يزول كل شك وكل ريب يحوم حوله: "نأمل أن يصحح تاريخنا ولا يبقي المزور الشاحب ولا نراعي في الحق الأخ ولا القريب ولا الصاحب، وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب، وإلا فكلنا على التاريخ أصبح الباكي الناحب"[3].

وما نخلص له هو أن التاريخ بوصفة الحلقة الأساسية التي تربط عناصر الإنية، ويؤكد ربط الأجداد بالأحفاد وهو رمز الشخصية، وأحد الركائز الأساسية للأنية الجزائرية، فهو بطاقة تعريف الأمة على مدار القرون العديدة على السنوات المجيدة.

إذن التاريخ هو: "أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد ومن أهم مكونات ذاتية أية أمة من الأمم، والعقد الذي تنسلك فيه جميع حلقات المقومات الثلاثة الأخرى لإنيتها وأصالتها، التي هي الدين، واللغة، وحب الوطن"[4]، فالتاريخ إذن هو همزة الوصل بين السلف والخلف ومنه تكون الانطلاقة نحو البناء والتشييد، لهذا سيضل رمزا من رموز وجود الأمة الجزائرية عبر مسيرتها التاريخية وضمان لتماسكها ووحدتها في مسيرتها المستقبلية.

---

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص 85.

[2] نفسه، ص 200.

[3] مولود قاسم: **ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر**، مصدر سابق، ص250.

[4] مولود قاسم: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج2**، مصدر سابق، ص 366.

المبحث الرابع: حب الوطن

- **حب الوطن:**

يعتبر حب الوطن من بين أهم المقومات الأساسية في الإنية الجزائرية لدى **مولود قاسم نايت بلقاسم**، فلا طالما قورن حب الوطن بالإيمان حتي أنه جاء في الأثر "**حب الوطن من الإيمان**"، لهذا يعد الوطن من بين المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات وتزدهر، فالذي لا يحب وطنه لابد وأن يكون من دون أصل ولا فصل، فالانتماء هو شعور يعطي للفرد الثقة بالنفس شعور بأنه ليس وحيدا في هذا العالم وليس ضعيفا ولا ضائعا، بل هو يمتلك السند والمدد لأنه جزء من جماعة تربطه معهم مشاعر مختلفة وتوفر له الحماية والإعانة، وعليه يمثل الانتماء إلى الوطن شكل من أشكال الهوية.

فأفراد الوطن الواحد توحدهم وتربط بينهم نفس العواطف والأهواء والأفكار وتجمعهم نفس المصالح ونفس الأهداف، لهذا تعمل الهوية وتساهم من خلال انسجامها وتوافقها في القيم والمرتكزات التي تقوم عليها بإعادة بناء الشخصية وإدراجها ضمن السياق التاريخي من خلال تلازم أفراد الشعب الواحد والأمة الواحدة، ذلك أن الإنسان الذى يدرك من هو فأنه يعرف بالضرورة ماذا يريد وإلى من يعيش.

ولعل أهم ما جاء على لسان **الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس** حين سئل "لمن تعيش"، فكان جوابه:" أننا نحب من يحب وطننا ويخدمه ونبغض من يبغضه ويظلمه فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائر "[1]، فالوطن بالتعبير ابن باديس ليس فقط الأرض والمعالم، وإنما التاريخ والحضارة والذكريات والآمال والمصالح، ولهذا يعتبر **مولود قاسم** حب الوطن من أهم المرتكزات التي لابد منها حتي تستقيم الإنية الجزائرية، فهي كل متكامل لا يقوم عنصر من عناصرها إلا بالعناصر الأخرى: "أما عناصر هذه الإنية، أما مكونات هذه

[1] محمد الميلي: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، مرجع سابق، ص53.

الشخصية، أما أركان هذه الأصالة، التي تمثل التضحية من أجلها ما سميناه بأصاليه، هي اللغة، والدين، والتاريخ، وحب الوطن "[1]، فكثيرا ما يستشهد **مولود** بالفيلسوف الألماني **فيخته** في التعبير عن مدي مساهمة حب الوطن والانتماء اليه في تفعيل عناصر الهوية الوطنية، إذ يقول في حب الوطن: "فكما أن الدين هو العنصر الدائم لحياتنا الروحية العليا، فإن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين"، فكثير ما قورن حب الوطن بالثورة والجهاد والدفاع عنه ضد الأعداء، فهذا الاعتداء هو الذي يستيقظ الضمير ويبث فيه مشاعر الحب والغيرة عليه.

وهذا ما وضحه **أبو القاسم سعد الله** في بقوله: "الاعتداء كأن عاملا حاسما في الحركة الوطنية لا لكونه خلقها بل لكونه أيقضها"[2]، ولهذا كان الشعور بالوطنية والانتماء من بين العوامل التي وحدت بين المجتمع الجزائري في وقوفه ضد الاستدمار الفرنسي.

فالشعور بالانتماء هو الذي يدفع بالإنسان إلى التضحية من أجل هذا الوطن الذي ينتمي إليه، فالذي يريد البقاء لنفسه لابد وأن يريده لوطنه أولا وقبل كل شيء، وهو ما يؤكده **مولود قاسم** بقوله على لسان **فيخته**: "إن الذى يريد الخلود لنفسه لابد أن يريده لوطنه، إن الوطن خالد، والحب لا يتعلق إلا بالخالدات، الذى يريد الخلود لوطنه إرادة حقة يدركه لا محالة"[3].

وإذا كانت الوطنية تعني أن يولد الإنسان ويعيش أو ينتسب إلى هذا الوطن، فالوطنية الحقه هي أن يعيش الوطن ويحي داخل الإنسان الوطني[4]، فالوطنية تعني الترابط والانسجام والتكافل الاجتماعي للأفراد داخل الوطن الواحد، ونظرا لأهمية مقوم الوطن في تشكيل الهوية الوطنية للأفراد فقد سعى الاستعمار إلى القضاء عليه من

[1] مولود قاسم: **أصاليه ام أنفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص66.

[2] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص147.

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 69.

[4] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص185.

خلال تكوين أفراد وأشخاص لا تربطهم بالوطن الأم أية علاقة، وإنما سعت إلى تكوين أفراد تحمل الحب والولاء لها بدلا من أوطانها الأصلية، فكانت عوض من تعليم الأطفال جغرافيا الجزائر كانت تعلمهم كل شيء عن جغرافيا فرنسا سعيا منها إلى تكوين أفراد تحمل لها الولاء من جهة وتجهل عن وطنها الأم كل شيء[1].

وفي سياق أخر يؤكد **مولود قاسم** على أن كل العناصر المشكلة للإنية مترابطة ومتماسكة ومتكاملة الواحد منها مكمل للآخر: "ذلك أنه لم يكن يتصور عنصرا من العناصر الثلاثة بدون الأخرين، بل هي متشابكة متكاملة، بحيث أنه لم يكن يتصور أن يكون ألماني متدين ولا يحب وطنه ولغته، كما أنه لا يتصوره محبا للغته دون وطنه ودينه، ولا محبا لوطنه دون دينه ولغته"[2]، لهذا كان تأكيد **مولود** على ضرورة الربط بين تلك المقومات المشكلة للهوية الوطنية، فهو يربط بين الدين وحب الوطن.

كما أن الإسلام هو الذي أعطي الدافع القوي من أجل التحرر والاستقلال "إن كل الثورات في الجزائر قامت باسم الإسلام ومن أجله"[3]، فقد كان للدين الفضل في بلورة الشعور بالوطنية والانتماء، فكان بمثابة الحاجز الذى حمى الجزائريين من الفسخ والمسخ والنسخ، وضمن نفس السياق يؤكد الدكتور **عبد الله شريط** على أهمية الدين في سقل الشخصية الوطنية وتفعيل الشعور بالانتماء والوطنية: "إن الوطنية بدون دين أو عقيدة دينية تنظم حياة الشعب هي وطنية عاجزة فقدت أبعادها الحضارية، إن الدين الذي لا يخدم الشعب هو دين محكوم عليه بزوال"[4].

وفي مقام أخر يؤكد **مولود** على عنصر الدين في توجيه الأفراد وتماسكهم في مواجهة تقلبات الدهر وأحواله، بقوله: "إني بديني الذى تربطني روحانياته وعقلانياته بالمولى، وبأهلي، ووطني، والإنسانية كإنسان، وإني

[1] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 148.
[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص54.
[3] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص 257.
[4] تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 149.

لبتراث أمتي هذه، ومرتبط بتقاليدها، ليس فقط كإنسان أي حيوان مفكر، ولكن أيضا كعضو حي مثل أي عصفور مرتبط بسربه، متعلق بنوعه: وحدة مستقلة وفي الوقت نفسه جزء لا يتجزأ من كل"[1]، ومن جهة أخرى يلح **مولود** على عنصر اللغة في تعزيز الهوية الوطنية والتشبث بها والحفاظ عليها فهي رمز من رموز الإنية الجزائرية التي لا يمكن أن تقوم بدونها: "كما أن الذى يفقد لغته ينتهى به الأمر إلى الذوبان، كما ذكرناه أنفا، وذلك أن اللغة هي القوة الطبيعية الأولى في أية أمة، فهي صدى روحها وأصالتها، وهى لسان شخصيتها والحافظة لتراثها، والضامنة لاستمرارها الروحي، والرابطة بين أجيالها إلى أخر الأيام"[2]، فاللغة تمثل صورة الهوية والحاملة للفكر والمعبرة عن مدى وعى الأفراد ومدى ثقافتهم، كما أنها المميز للفرد عن غيره في هذا العالم، لهذا يدعوا **مولود** إلى ضرورة تعليمها للأجيال لأنها تمثل الوطنية الحقة فالواجب هو تكوين أفراد يتمتعون بالانتماء والسبيل إلى ذلك لا يتأتى إلا من خلال تربية وطنية أصيله يقول: "إن هذه التربية يجب أن تكون وطنية بمعني الكلمة"[3].

كما أن الوطنية عند **مولود قاسم** لا تتجلى فقط في الشعور بالانتماء إلى الوطن والدفاع عنه في وجهة الأخطار التي تتربس به في كل الأوقات، إنما هي على خلاف ذلك تماتا: "إن الوطني هو الذى يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته التي هو عضو منها، إن الوطن خالد، هذا الوطن الأرضي الحسي الذى نحن فيه، وإن الذى لا يحب وطنه ليس له وطن، وإني لأرثي كل الرثاء لمن لا وطن له"[4].

وستشهد **مولود** بأهمية الوطن الملازم للشخصية والإنية، بما ذهب إليه رائد الحركة الإصلاحية **الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس** ولعل أبرز الشعارات التي كان يرفعها ويعمل على تجسيدها على أرض الواقع والتي تمثل بحق الهوية الوطنية الأصيلة "**الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا**" هذا من جهة، كما أقر **الإمام عبد**

[1] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص69.
[2] نفسه، ص379.
[3] نفسه، ص378.
[4] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص63.

الحميد ابن باديس على أن الوطن والوطنية لا ترتبط بحب الوطن الأصلي الذى ولد فيه الإنسان بل تتعدى إلى غيره من الأوطان العربية الأخرى: "نعم لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطأنا أخرى عزيزة علينا هي دائما في البال، فنحن فيما نعمل لوطننا الخاص، نعتقد أنه لابد أن نكون قد خدمناها وأوصلنا إليها النفع والخير، عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص"[1]، فهو يؤكد على ضرورة خدمة الوطن الخاص أي الجزائر وعدم المساس بكرامة الأوطان الأخرى يقول: "أحب وطنك ولا تبغض أوطان الناس، انفع وطنك ولا تضر أوطانا أخرى"[2] من جهة أخرى.

إذن الوطنية لا تعني الدفاع عن الوطن فقط إذا كان محتلا، بل هي شعور يعتلى الفرد ويتجلى في حب الوطن، هذا الحب يدفعه إلى بنائه وتشيده وهو ما يضمن الخلود للوطن، أي أن يراعي المواطن مسيرة الوطن وهو يتحرك نحو التنمية على جميع الأصعدة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية والفكرية .

فالانتماء ليس مجرد شعور مجرد صوري، إنما هو شعور يتجلى في العمل من أجل خدمة الوطن والنهوض به حتي يتسنى له إثبات وجوده في سلم الوجود، هذا الوجود لا يتأتى إلا من خلال الحفاظ على أسباب الوجود والتي هي المقومات الأساسية التي تحفظ له وجوده وتميزه عن غيره، وهو ما أكده الشيخ **الإمام عبد الحميد ابن باديس** بقوله: "فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات والمميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية، وأننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها وتشبثا بأهدافنا وإنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا"[3].

هذه الإنية التي بها يثبت الفرد الجزائري وجوده في هذا العالم، كونه فرد تربطه بمجتمعه روابط متينه لا يمكن أن تفكك أو أن تشوه أو أن تغير على مدار الزمان وتقلب الأحوال، إنما هي من المقدسات التي توجب الحماية

[1] محمد الميلي: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، مرجع سابق، ص56.
[2] نفسه، ص53.
[3] نفسه، 176.

لها والمحافظة عليها والذود عنها ضد من يتربص بها بغية تشويهها ومحوها وإدماج أفرادها ضمن نسق واحد يكون خاضعا لنفس القوانين ويتبني نفس التوجهات وتحكمه نفس المعتقدات والأيديولوجيات.

وهو ما يعرف اليوم **بالعولمة** هذا الخطر الذى لا يحترم مقدسات الأخر ولا يعطي لها اعتبارا، إنما يهدف إلى جعل الكل ضمن نسق واحد، لهذا كانت دعوة **مولود قاسم** إلى ضرورة التمسك بمقومات الأمة والحفاظ عليها والعمل من أجل تثبيتها، لأنها هي رمز وجودنا وشخصيتنا وبطاقة هو يتنا وأنيتنا.

وعليه كانت دعوته إلى حمايتها من الأخطار المحدقة بها: "فإذا لم تأخذك القشعريرة الرهيبة عند مغادرة وطنك لمدة وإذا لم تساورك عيناك بذرف قطيرات من ماء الحياة والموت، كمثل تلك القشعريرة التي أخذت **الرسول** ﷺ عند مغادرة مكة مهاجرا، وإذا لم تطرب وأنت في الغربة عند العثور على صوت بلدك في الإذاعة، أو سماع لغتك في شارع، أو رؤية اسمه في جريدة أو كتاب، فأنت ليست فيك إذن قطرة من حب الوطن ولا من وطنية، وليست فيك أدنى رائحه ولا إنسانية، وإنما تعيش كأبهم حيوان، بل أنت أضل".[1] إذ لا يكفي هذا تعداد للعناصر المكونة للإنية الجزائرية والتغني بها، إنما المهم هو العمل على إثرائها وإبرازها للوجود في أكمل وجه وعلى أحسن صورة، في ومعرفة مدي تماشي هذا المفهوم مع التطورات الراهنة التي تعرفها المسيرة الإنسانية، ونحن اليوم في عصر السرعة والتقدم العلمي والتكنولوجي، ومعرفة مدي صمود هذا المفهوم أيضا في مواجهة تجليات العولمة، التي أخذت أشكلا متعددة، سواء الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، وتأثيرها الخطير والمباشر على مستقبلنا، فهي تعمل على تفكيك الدول وإفقادها لسيادتها ومن ثمة إحداث إخلال بالمنظومة القيمية والاجتماعية والاقتصادية، وبالنظر للمعطيات الراهنة فإنه من المستحيل إيقاف هذا التدفق الجارف، بالركون إلى الانزواء والتخلف عن الركب الحضاري العالمي.

[1] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص ص67- 68.

خلاصة:

إذن ما نخلص له هو أن جميع عناصر الإنية الجزائرية هي كل متكامل ولا يمكن بأي حال من الأحوال السماح أو التنازل عن أي عنصر من العناصر المشكلة للهوية الوطنية، فهذه العناصر هي ما يجعل الأمة تشعر بوحدتها وانتمائها ومصيرها المشترك الذى يوجهها، وهذه العناصر مترابطة متكاملة متشابكة ومتفاعلة في ما بينها، ولا يمكن الفصل بينها بل أن تفاعلها وتكاملها دليل على قوة الأمة المتمسكة بها، وهي الحصن الذى يحمي الأمة من الخطر الخارجي الذى يتربص بها بغية اختراقها على غرار الخطر المسيحي الذي تعرضت له الأمة زمنا طويلا ولا يزال يحدق بها، وكذلك خطر سلخ الفرد الجزائري عن قيمه الدينية والعقائدية التي يتحلى بها، وأيضا محاولات الجعل من الفرد الجزائري أن ينسى أو أن يتناسى لغته وتاريخه الذين يمثلان بطاقة هو يته والدليل على وجوده في هذا العالم، ومحاولات إثاره النزعات وخلق النعرات بهدف تفكيك المجتمع وتشتيته من خلال إثارة النزعات القبلية والتفرقة العرقية والمذهبية، من أجل تشتيت الأمة وعدم تركها تركز على التنمية والتطور العلمي والتكنولوجي، ولهذا كانت دعوات **مولود قاسم** إلى ضرورة الانتباه والحذر من أجل النهوض بأمة وبلوغها أقصي أهدافها وإثبات وجودها وإنيتها وذاتيتها وشخصيتها المميزة لها عن غيرها من الأمم.

الفصل الثالث: تحديات الهوية الوطنية المعاصرة.

تمهيد

المبحث الأول: الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية.

المبحث الثاني: تحديات الهوية المعاصرة (الغزو الثقافي والعولمة).

المبحث الثالث: تحديات الهوية في ظل التنوع الثقافي.

خلاصة.

المبحث الأول: الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية.

تمهيد:

إن المتتبع لمسار تاريخ الشعوب والحضارات يلاحظ الأهمية القصوى التي تمثلها إشكالية الأصالة والمعاصرة، في التطور والنهوض، باعتبار أن هذه المسألة هي حجر الأساس لهوية الشعوب والأمم، والوعاء الحامل لنظرتها إلى الخالق والحياة والوجود والإنسان، فضلا عما يكتنف هذه المسألة من حساسية لارتباطها بالوجدان الفردي والوعي الجماعي للشعوب والأمم.

وبذلك فأي قصور أو خلل في التعاطي مع هذه المسألة لا شك أنه سيكون وخيم العواقب على السلوك الفردي والسيرورة التاريخية للشعوب والأمم، وعلى هذا الأساس نجد الدول الجادة والمدركة لهذه المسألة توليها اهتماما فائقا في المعالجة وتسعي بكل الوسائل إلى جعلها محل توافقها وأساس وجودها ومنطلق لتطورها وتقدمها، وبتحويلها إلى بؤرة توتر وتوظيف إيديولوجي في تكريس للتبعية والتخلف.

وكذلك لإبراز هويتها والمحافظة عليها ومدى ارتباطها بالتحولات الدولية الراهنة، والتحولات المتسارعة التي يعيشها العالم متفاعلا مع التطورات العالمية، وما فتحته من نقاش حول تعدد الهويات، وإذا كان هدف هذه التطورات هو إزالة الحدود الفاصلة بين المجتمعات، والقضاء على فكرة الهوية المحلية والإقليمية، فإنه من الطبيعي أن يكون هدف هذه التطورات على الصعيد الثقافي هو محو الهوية الثقافية لمجتمعات وطمسها، فالهوية الثقافية لأي مجتمع إنما تتمثل أساسا في ذلك الشعور بالانتماء والولاء لنسق قيمي معين، ومن ثم فهي التي ترسم الحدود التي تميز "الأنا" و"الآخر"، وما يصاحب فكرة من التطورات العالمية هو الترويج لفكرة الثقافة العالمية، على اعتبار أنه ثمة أشياء مشتركة إنسانيا يجب بلورتها بعوامل زيادة الاحتكاك والتفاعل والاتصال الإنساني على المستوى العالمي، ومن هذا المنطلق نجد إشكالية الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية، من بين العديد الإشكاليات التي شغلت فكر

مولود قاسم والتي أخذت كغيرها من الإشكاليات الأخرى حيزا من الاهتمام، سواء بالركون للأصالة وبالتالي الانغلاق والتقوقع على الذات، أو بالانفتاح على الأخر والمساهمة في الحضارة الإنسانية، وجوهره هذه الإشكالية هو: كيف كان موقف **مولود قاسم** من هذه الإشكالية ؟ وماهي الحجج التي قدمها لإبراز موقفه؟

يعد **مولود قاسم** مفكرا إسلاميا أصيلا شديد التمسك بالشخصية الوطنية، في إطار الإسلام والعروبة، وذلك بفضل ثقافته العربية المتينة، واطلاعه الواسع، لكنه مع ذلك ظل يدعوا إلى ضرورة التفتح على الثقافات العالمية للانتفاع بمحاسن التطور واستغلالها في نهضة الجزائر وترقية شعبها، بشرط أن لا يكون ذلك التفتح سببا في التنكر لعادات وتقاليد البلاد و للإرث الحضاري الذى بناه وشيده الأجداد عبر العصور، فالأصالة عند **مولود** هي تمسك بالموروث الثقافي للأمة ولكن مع ضرورة التفتح على الثقافات العالمية الأخرى: " الأصالة تتضمن بحكم الحد والمضمون التفتح والعالمية، والتطور والتقدم، إذ أن الأصالة ليست الانغلاق والتجمد، بل هي بقاء الإنسان "هو هو" مع الاستفادة من احتكاكه بالغير، ومسايرة الركب الإنساني بما ينسجم مع عناصر ذاتيته، ويتناغم مع مكونات شخصيته، إذ بتميزه ذلك فقط يكون عنصرا يقدم مساهمته للفكر الإنساني والحضارة العالمية، وبدونه لا يثريهما بشيء، بل يعيش على حسابهما عالة يثقل الركب، ولا يقدم للإنسانية قيد شبر".[1]

ولعل ما يثبت التوجه الذى سلكه **مولود قاسم** هوما جاء في خطاباته والتي تنص وتأكد في العديد من المواقف على الإنية والأصالة لكن مع التفتح والعالمية، على غرار" **إنيتنا وأمنيتنا**" و"**بقدر أصالتنا يكون إسهامنا في الفكر الإنساني**" و" **أصالتنا لا تعني اغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزاحة السقوف والرفوف**" و" **تفتح لا انفتاح**"، بإضافة إلى العديد من المقالات والخطب التي ألقاها في مؤتمرات الفكر الإسلامي، كما جاءت خطاباته ردا على أولئك الذين ارتموا في أحضان الحضارة الغربية تاركين وراءهم رصيدهم وأصالتهم، التي بها يتسنى لهم البقاء وإثبات وجودهم.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 10.

ولعل تسمية مجلة "**الأصالة**" بهذا الاسم هو ما يترجم هذا التوجه، والمنحى الوسطي الذى انتهجه **مولود قاسم** في نظرته للإنية الجزائرية، والذى يجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة بكيفية عقلانية مهذبه ومقبولة، بحيث لا إفراط ولا تفريط. فهو موقف وسط بين الفئة التي تدعوا إلى التفتح على الأخر، والفئة التي تؤكد على ضرورة الانغلاق والتقوقع على الذات وبالتالي عدم مسايره الركب العالمي.[1]

أ. موقفه من أنصار الانفتاح والعالمية:

يرى إنصار هذا الموقف إنه من الضروري اللحاق بالركب والتفتح على الحضارات الغربية والأخذ منها لخدمة مصالحنا الخاصة والتعاون معها، دون إعطاء أي اعتبار للخصوصيات التي تميز كل أمة عن الأخرى، وأيضا عدم الاكتراث للموروث الثقافي الذي يميز كل أمة عن غيرها، وهو ما يؤكده **مولود** بقوله: "و الفريق الأخر يلحون علينا باسم التقدمية والثورية، والتطورية، والتمدن، وسعة الأفق والتفتح والعالمية، داعين إيانا إلى عدم الاكتفاء بفتح النوافذ واسعة، والأبواب على مصاريعها، بل يصمون أذاننا بالمناداة بضرورة نزع السقوف أيضا، وهم المغامرون السطحيون الممسوخون"[2]، فهته الفئة لم تكتفي بدعوه إلى التفتح والعالمية، بل دعوا إلى عدم الاكتفاء بفتح الأبواب والسقوف إلى ضرورة نزع السقوف والرفوف، وتعريتنا من كل ألبستنا وفصلنا عن ماضينا ومقوماتنا الوطنية.

ولعل هذا ما دفع ببعضهم إلى إدراج **مولود** ضمن خانة التيار الرجعي لأنه كان يدرك بأصالته الحدسية والمعرفية أن أكثرهم كان يركب تيار الموضة والجري وراء ما يتاح لهم من انتماءات الغربية التي ما فتئت تستأسد على القيم الأصيلة.

[1] يحي بوعزيز: **أعلام الفكر والثقافة**،ج1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ص281.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص544.

وفي سياق أخر يؤكد **مولود قاسم** أن هناك فئة تدعونا باسم التطورية العالمية و الانفتاحية والانبطاحية إلى عدم الاكتفاء بترك النوافذ مفتوحة بل تدعوا لفتح الأبواب أيضا، لدخول كل من هب ودب، وتأكد كذلك على ضرورة انتزاع السقوف والرفوف والتعرض بذلك لمختلف الهزات والزوابع ودخول سائر الجراثيم، هؤلاء هم دعاة الانفتاح[1]، هذه الفئة التي تري في تراثها وأصالتها على أنها هي رمز التأخر والبدائية، وهي السبب في عدم اللحاق بالسرب وهو ما عابه عليهم **مولود قاسم** على لسان **الفيلسوف الألماني فختة** بقوله: "مساكين أولئك المندمجون، الهاربون من أصالتهم، اللاجئون إلى أعدائهم، وهذا مرض عميق، وأن هذا المرض مرض التهافت على كل ما هو من الخارج لدى طائفة من مواطنينا هو أصل جميع مصائبنا".[2]

وبناء علية يعلق **مولود** على اعتراض البعض باسم التقدمية والحداثة على أنه تعلق بالشكليات والعادات والتقاليد والقيم التي يتحلى بها المجتمع، إذ عمدت هذه الفئة إلى احتقار موروثها وأخذت من غيرها وتحججت بادعاء مواكبة التطور والموضة: "هذه الطبقة المترطنة والمتهافتة بزيهم في الملبس، والمقلد لهم في الأخلاق"[3]، وفي تعقيب **لمولود** على هذه الفئة التي تري في التراث والأصالة على إنها مجرد شكليات، بل هي عكس ذلك تماما هي التراث الروحي والمعنوي، الذى يميز كل أمة عن غيرها و هو نفسه الذى يمكن لهذه الأمة من أن تحترم و بالتالي تفرض احترامها على غيرها: "إن علواءكم بالتضحية بما تسموه الشكليات، كالتعريب و الجمعة والعادات القومية قد يحولنا إلى مجموعة أشكال بدون روح"[4]، وللأسف الشديد فإن أغلبية الشباب اليوم يدعون لفتح الأبواب والنوافذ وإزالة السقوف والرفوف والغوص في الحضارة الغربية، ولو مع التخلي عن كياننا ومقدساتنا الدينية، وهويتنا الوطنية، لأن مغريات الغربية كثيرة جدا وتقتحم ديارنا بدون سابق إنذار متخذة أشكالا والوان عن طريق وسائل الإعلام، التي تهددنا بالانسلاخ عن ماضينا والذوبان في غيرنا، ولذا لبد من مواجهتها بما تستحق

[1] سعيد فكرة: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم**،ج2، مرجع سابق، ص57.
[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج2، مصدر سابق، ص373.
[3] نفسه، ص373.
[4] نفسه، ص374.

قبل فوات الأوان، وذلك لا يتأتى إلا من خلال العودة إلى الأصالة والتفريق بين الانفتاح التفتح: "وأول الطريق تمتين الثقافة بالأصالة لضمان المناعة وتوفير الحصانة للبلد هذه الحصانة الروحية وهذه المناعة المعنوية فالمناعة المادية وحدها لا تكفي، هذا هو الجهاد الأكبر حقا، وبهذا فقط سنضمن لأنفسنا هذه الأصالة والمعاصرة التي نتشدق بها كثيرا وبالحفاظ على الأصل وباكتساب الجديد والصالح، لمواكبة العصر ولرد التيار الجارف، هذا التيار الكاسح الماسخ، ولصد هذا الفسخ والمسخ والنسخ، بالحزم والجزم والعزم، ولنخرج من الجمود والهمود والخمود، بهذه الطريقة فقط بأن نكون أبناء عصرنا وأديم مصرنا ودون أن نصبح نسخة غيرنا"[1].

ب. موقفه من دعاة الأصالة والمحافظة:

يرى أنصار الأصالة والمحافظة أن هذه الأصالة هي معطى في الماضي وهي الذات الفاعلة المتطورة تحمل هموم الأصالة والاصلاح وتسعى إلى التخلص من المسلمات والآراء الشائعة الداعية لقبول الوضع كما هو، كما تدعوا إلى التمسك بالتراث والهوية، ومن هذا المنطلق جاء رد **مولود قاسم** على أولئك الذين يدعون إلى المحافظة والركون إلى الخمود والجمود ويقبعون تحت العجز، فهم كما يرى المقعدون والرافضون لكل تجديد أو تطور، وهم الذين نظروا إلى الماضي بنظرة تقديسيه ونظروا إلى الحاضر والمستقبل بنظرة تشاؤمية عبوسة، يقول فيهم **مولود** واصفنا حالتهم وحالته أمهم: "لقد تعلقت أمتنا قرونا بالخرافات وأصبحت تكملها الآن بالانحرافات، فبعد أن وقفت من التقدم الحق موقف سلب وانقلبت على القيم بالسب والثلب، فلا تقدما فعلا حققت، ولا تخلفا حقا سحقت، ولا رواسب مميته محقت، ولا بالركب المتقدم لحقت".[2]

وعليه فالأصالة التي قصدها **مولود** في العديد من المواقف هي: "أن يكون الإنسان ابن عصره مع البقاء على أديم مصره، ودون أن يصبح نسخة غيره، وخوفا منه أن تفهم الأصالة على عكس معناها، أي التقوقع

[1] عمار جيدل: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**، ج1، مرجع سابق، ص130.

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص215.

والجمود والركود والتمسك بالماضي وتقديسه فالأصالة-حسب **مولود**-لا تعني التقليد بقدر ما تعني الفاعلية، لهذا يدعوا إلى ضرورة التميز بين التقاليد الصالحة والغير صالحة، والتميز بين المحافظين والمتدينين، الذين ينعتون بالرجعين فهو ينفي أن يكون من هؤلاء الذين يركنون إلى الجمود دون المساهمة في الحضارة الإنسانية، يقول فيهم: "فريق المتقوقعين، المتزمتين، المنزوين، المنكمشين الراكدين المتخلفين، الجامدين، الذين يدعوننا باسم المحافظة على التقاليد إلى عدم الاكتفاء بإقفال الأبواب، بل يطلبون منا أيضا، سد النوافذ، حتي لا يتسرب إلينا بصيص من نور، أو نسمة من هواء، ونبقي في الظلمات، ونتعرض للاختناق".[1]

ومن منبر الأصالة كانت نداءات **مولود** التي يحث فيها الشباب إلى ضرورة التمسك بالأصالة ولكن ليست الأصالة المتحجرة والمنغلقة، ولعل مقولته في ذلك: "بأقدام راسخة على أساسنا الثابت فقط ستطيع أن نتطلع إلى آفاق أخرى ومع الانغراس في أصالتنا فحسب يمكن لنا بل يجب علينا أن نتفتح على مختلف ثقافات وحضارات العالم، كما فعل أجدادنا من قبل وأنتجوا أخصب الثقافات وأرقى الحضارات وكما فعلت بالأمس وتفعل اليوم جميع الشعوب التي تعتبر ما تأخذه من الخارج بمثابة مكملات لأصولها، وفروعها وجذورها"[2]، فالأصالة عند **مولود** هي: "ليست الجمود في المكان والخمود في الزمان والتقوقع حول النفس والانغلاق عن الغير والتوقف عن السير والتخلف عن الركب العالمي، بل هي الزحف إلى الأمام والبروز إلى فوق والضرب بالمنكبين ورفع الراية عالية لتنبئ عن الوجود المميز المزاحم"[3]، ولعل مرد هذه التبعية والجري وراء منتجات "**الآخر**" والتلهف في استقدامها مرده بصفة مباشرة إلى الفهم السيئ لمعني الأصالة والتي أصبحت تنعت بالفهم الضيق للدين، لذا وجب الرجوع إلى الينابيع الصافية وتصحيح المفاهيم في ضوء الأصالة المنصوص عليها عند السلف.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص544.

[2] عبد اللطيف عبادة: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص143.

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص12.

فالأصالة ليست هي الغلو في الدين، ولا هي بالرجعية، بل هي كما يقول **مولود**: "أن هناك فئة تنادي باسم الحفاظ على العادات والتقاليد والأخلاق والتحصن من محاولات الغزو الفكري الخارجي، وتدعوا إلى الانغلاق على أنفسنا والانزواء في زاويتنا والتقوقع في حجرتنا، وإلى عدم الاكتفاء بإغلاق الأبواب، بل تلح على ضرورة إغلاق سائر النوافذ، والمنافذ، وبذلك نعمي بغياب الضوء ونختنق بامتناع الأكسحين الذى هو إكسير الحياة"[1]، فالأصالة هي قاعدة لكل معرفة فهي الأساس الصلب والثابت الذى يستند إلى الماضي المجيد والتاريخ المضيء، وهي أيضا الوطنية الثابتة التي من شئنها أن تساهم في تعايش الإنسان مع الإنسانية، وتساهم في ترسيخ القيم الأخلاقية والإعلاء من قيمة الإنسان والإنسانية من غير ما تعصب ولا إقصاء ولا تميز.

وحتى لا تكون الأصالة ذات مفهوم رجعي يحيل إلى الركون والخمول والكسل أعطاها **مولود قاسم** معنى أخر مغاير وهو: "أن يكون الإنسان ابن عصره، مع البقاء على أديم مصره، ودون أن يصبح نسخة غيره"، أي أنها تقتضي التفتح على مقتضيات العصر دون الانسلاخ عن الماضي، وهذا التفتح يجب أن يبدا من الأصالة ويعود اليها[2]، فلا يمكن إن نغرس رؤوسنا في الرمال ونتجاهل محيطنا الدولي، كما لا ينبغي أن نطأطئ رؤوسنا لإملاءات تتعارض مع القناعات وتفرض علينا بالإغراء والقوة، ولكن يجب علينا أن نقتبس من كل الأمم والمجتمعات المحيطة بنا ما ينفعنا ويتلائم مع أصالتنا ويثري هويتنا وإنيتنا ويساهم في تعزيز وجودنا.

ج. موقفه مولود من الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية:

حرص **مولود قاسم** على التأكيد أن سر تمسك الأمة بوحدتها عبر مسيرتها التاريخية ومقاومتها للذوبان في الأمم الأخرى مرده بصفة جوهرية إلى وعي هذه الأمة بإنيتها وأصالتها، وحرصها على الدفاع بشراسة عن مقوماتها، وهو ما جعل **مولود** أكثر إصرارا على الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية، وهذا ما جعله يعتقد أن

[1] سعيد فكرة: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**،ج2، مرجع سابق، ص 57.

[2] تاحي اسماعيل: **مولود قاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مرجع سابق، ص 109.

التفتح على الأخر هو في الوقت نفسه أخذ وعطاء، فالحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها كان أحق بها وأخذها، وهذا التفتح لا يستلزم الغاء الذات كما إن الأصالة لا تستلزم إلغاء الغير.

وهنا يبرز موقف مولود الخاص من إشكالية الأصالة والمعاصرة، فهو لم يركب التيار الذى يدعوا إلى التقوقع والانغلاق، كما لم يركن إلى دعاة التيار الذى يدعوا إلى الارتماء في أحضان الحضارة الغربية، بل كانت مواقفة تتمثل في الوسطية والاعتدال: "نحن نقول: لسنا مع هؤلاء، ولا مع أولئك، فنحن مع الحل الوسط، والحل الوسط هو الحل الصالح لأي شعب من الشعوب ويتمثل في نظرنا، كما وضحناه في مناسبات عدة، في فتح المنافذ، والنوافذ، بل والأبواب عند اللزوم مع المحافظة على السقوف والرفوف".[1]

إذن موقف **مولود** من جدالية الأصالة هو مذهب وسط، فهي ليست الجمود القابع في بالي التقاليد، ولا اتساخ التابع لكل المستوردات الهجين[2]، **فمولود** حاول الجمع بين كلتا النظريتين سواء دعاة المحافظة تفاديا لمغريات الحضارة الغربية، دعاة النزعة التطورية والتقدمية والعالمية التي تلح إلى عدم الاكتفاء بفتح الأبواب، بل تدعوا إلى نزع السقوف والرفوف: "لا نريد أن نبقي في الزوايا المنغلقة، ولا نريد أن نبقي في الكهوف، وإنما نريد شيئا من الضوء شيئا من النور شيئا من الهواء شيئا من الأوكسجين"[3]، هذا هو المنهج الوسطي الذى أقره **مولود** لهذه الأمة بحيث لا إفراط ولا تفريط.

فالتمسك بالإنية والأصالة هو من الشعارات التي غدت بمثابة الورد اليومي الذي يردده **مولود** في كل مجلس، ويكرره في كل محفل، فهو يؤكد على ضرورة التمسك بالشخصية الوطنية وتعزيز الهوية: "ابق من أنت وصادق غيرك على أساس المعاملة بالمثل، واستفد من تجاربه، ووسع آفاقك، وافتح نوافذك ولكن ابق أنت أنت، فتمنع بعدم انفصام شخصيتك، وتتشبع بمطلق إنيتك، فتفيد نفسك، وتثري غيرك، وتأتي له بمكسب جديد،

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص566.

[2] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص216.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 573.

وتشارك في الحضارة والفكر الإنساني بمساهمة أصيلة"[1]، **فمولود** لم يكن يقيم مواقفة انطلاق من نفسية متأثرة بأفاعيل الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يشحن الشخصية الجزائرية بعقدة نفسية تجعلها تشعر بالنقص وتنظر لنفسها بنظرة انهزامية، وتركن إلى التقوقع والانفصال عن الركب الحضاري العالمي، إنما كانت نظرته داعية إلى التفرد والتشبث بالأصل.

وفي سياق آخر يصرح مولود بموقفه: "قلنا لسنا مع الكشفة والتعرض للزوابع، بل نريد أن نجمع بين الفضيلتين، نريد أن نفتح النوافذ وحتي الأبواب عند اللزوم، ولكن نريد إلى ذلك أن نحتفظ بالسقوف والرفوف، فلا تبديل في الأصول لأنها محرك التنمية والفاعلية، وبدونها لا ينتظر أن تبعث فيها الفاعلية"[2]، لهذا كانت جل محاضرات **مولود قاسم** سواء داخل الوطن أو خارجه تدور حول ثلاثة أسئلة رئيسية هي: كيف نتجاوز التخلف؟ أين نواجه التحديات؟ ومتي نحقق تقدما علميا؟ ما يراد من هذه الاسئلة هو التأكيد على التغير الذى لا مفر منه، والوعي بضرورة الحفاظ على الماضي الإسلامي في البال والقلب، ولكن لا مفر من الانضمام إلى الثقافة العصرية.

إذن من هذا المنطلق نلمس وعي **مولود قاسم** بالكيفية التي من شئنها أن نلمس لأنفسنا طريقا في هذه العصرنة، بحيث نعاصره حقا وفعلا وإيجابيا، ونحافظ في الوقت نفسة على مقوماتنا الأساسية التي تجعلنا أمة عربية، وكيف نساير العصر ونميز أنفسنا فيه؟ يجيب **مولود**: "إن طريق الخلاص الوحيد للأمة الإسلامية، ولأية أمة من الأمم في وضعها، هو الكد في تدارك ما فات، والسعي للحاق بركب الناهضين مع المحافظة على روحها وخصائصها، وتقديم الجوهر على الاعراض وعدم الاستغناء بالقشور عن اللباب، وضرورة الاقلاع عن التعلق بسلبيات الحضارة الحديثة للاقتصار على إيجابيها هذا كله هو ما نقصده بالإنية والأصالة مع التفتح والعالمية"[3]، فالحل الوحيد الذي يدرجه **مولود** الأمة الجزائرية حتي يتسنى لها اللحاق بالركب وبلوغ مصاف الدول المتطورة هو

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص 17.

[2] عمار جيدل: **محاضرات الملتقي الوطني لتكريم الأستاذ المرحوم مولود قاسم**، مرجع سابق، ص 133.

[3] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص544.

العمل والإنتاج فهما الذين يمكنان من بلوغ هذا الهدف، ولكن مع مراعات الخصوصيات الخاصة بكل أمة، فما هو صالح للأمة الغربية قد يكون غير مقبول لدى الأمة العربية وموفوض لكونه يتعارض مع سلم القيم.

لهذا وجب الأخذ بإيجابيات ونبذ السلبيات التي تساهم في انحطاط الأمة وزعزعة كيانها وبالتالي فقدانها لكرامتها، ومرد انحطاط الأمة يرجع إلى: "ألا إنها الأذواق التي سمجت، وفي السلبيات الغربية اندمجت و بتلوناتها خمجت، والنفوس التي فسدت، والعقول التي كسدت، والأرواح التي انحرفت والحدود التي انجرفت، انطوت الصفحة طيا ... ولقد أسمعت لو ناديت حيا ولكنت مسموعا لو قلت غيا"[1]، ولعل هذه هي نصائحه لشباب اليوم والتي أراد من خلالها أن يكون الشباب الجزائري ابن عصره، ولكن مع البقاء على أديم مصره، ودون أن يصبح نسخة لغيره: " كن إنسان عصرك ولكن لا نسخة غيرك، إيجابيا متفاعلا، لا سلبيا منفعلا، متفتحا لا منفتحا، متطورا لا مطورا، ومؤثرا أيضا لا متأثرا، فالحياة تعامل وتبادل، والحوار من أطراف متساوية، وإلا كنت سائل متسول، ناقصا في نفسك عار على أمتك، وعالة على الإنسانية"[2].

فمولود يدعوا إلى أن تكون الذات الجزائرية ذات فعالية مع الأخر لا تأخذ منه فقط، وإنما يريد منها أن تساهم في الإرث الحضاري الإنساني، لكي تحفظ كرامتها ولا تكون عالة على غيرها: "عالما لتساهم في العالمية، ولا تكن إمعة من قوم تبع فتظلم وتهضم، كن قطعة بارزة في اللوحة تكن لك ذاتيتك، وكميزة تحفظ لك إنيتك، ولا تكن شاحبا باهتا، وإلا انطفأت، ولا لينا طيعا وإلا عصرت وأذبت، ولا لقمة سائغة وإلا استمرئت وغرفت، ولا واهنا وإلا أهنت وصرفت".[3]

[1] أحمد بن نعمان: **مولود قاسم نايت بلقاسم**، مرجع سابق، ص216.
[2] مولود قاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص579.
[3] نفسه، ص579.

إذن ما يقصده **مولود قاسم** بالإنية والأصالة مع التفتح والعالمية هو أن يكون الإنسان الجزائري ابن عصره، يواكب التطورات العلمية والتكنولوجية المستحدثة، يأخذ منها ما يمكن أن يفيد حياته ويدخل تحت احتياجاته، ويتمكن من خلالها أن يفيد نفسه ويسعى بواسطتها إلى بلوغ مصاف الدول العالمية حتي تكون له بصمة في هذه الإنسانية، ويساهم في خدمتها وتطورها وتخليصها من الأزمات التي تعانيها، ولكن شريطة أن يصاحب هذا الانفتاح التمسك بالأصول والجذور التي هي مقومات الإنية وبطاقة الهوية التي تميزه عن غيره، وتثبت وجوده وذاتيته المستقلة والمتميزة.

كما يتوجب عليه أن لا يصبح نسخة غيرة يفعل ما تفعل ويقول ما تقول، غير مكترث لقيمه الأخلاقية التي تضمن له كرامته واحترامه، فلكل مجتمع قيمة الخاصة به لهذا يجب عليه أن لا يكون إمعة، حتي وإن دخلوا جحر ضب لدخله كما جاء في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: تحديات الهوية المعاصرة (الغزو الثقافي والعولمة)

تمهيد:

كلما أمعنا النظر في محيطنا وتأملنا أكثر واقعنا المعاصر، نجد أن المشاكل التي تفرض وتتزاحم وتتفاقم عليه يوما بعد يوم، وهو ما يتطلب الاستجابة السريعة ووجوب تقديم الحلول المباشرة لما هو مطروح بالسرعة التي يتطلبها عصرنا الذي نعيشه، وبما يتناسب و ينسجم مع قيمنا ومبادئنا و ثوابتنا وهويتنا وخصوصياتنا، التي لا مجال للتغير أو النقاش أو المساس بها، وأيضا بما يتناسب مع روح العصر ومتطلباته وإلا فاتنا الزمن وخلفنا وراءه.

كما أن أمتنا تعرضت خلال تاريخا الطويل لسلسلة من التحديات الكبيرة والخطيرة دخلت خلالها أمتنا في مواجهات شتى من أجل الحفاظ على هويتنا وخصوصيتها الثقافية والحضارية، وتأتي ظاهرة العولمة كحلقه أخري

من سلسلة حلقات التحديات التي تواجه أمتنا، والتي تتميز عن سابقتها من حيث الكم والنوع والقوه والقدرة والخطورة والجدية في تحقيق الأهداف، التي عجزت عنها غيرها من الأفكار والأساليب الغزو الأخرى.

هذه العولمة التي فتحت قضايا الهوية على نطاق واسع، وما يهددها من مخاطر والأقصاء والانصهار، بل وحتي الانقراض، ومما لا شك فيه هو أن الهوية والثقافة الخاصة بكل أمة بخصوصياتهما ومقوماتهما هما المستهدف الأول من هذا الصراع الحضاري، كما أن الوظيفة المنوطة بها العولمة الآن هي محو هويات وثقافات الأمم والشعوب ومسخها، أو على الأقل تهميشها لصالح هوية واحدة، هي هوية وثقافة الأقوى.

ولعل أبرز المخاطر التي تستهدف الهوية الوطنية نجد خطر الغزو الثقافي الذي يخترق ثقافة الأمم دون سابق إنذار، كما نجد إلى جانب ذلك خطرا أخر لا يقل على الأول من حيث التهديد والعبث بالهوية الوطنية ألا وهو العولمة، والتي تستهدف ثقافة الشعوب و محاولة جعلها ذات بعد أحادي الأوجه والمساعي و الإيديولوجيات والأفكار، وعليه سنحاول في هذه الخربشة تسليط الضوء على التهديدات التي تتعرض لها الإنية الجزائرية على وجه الخصوص، والهوية العربية بوجه أعم، كما اننا سنحاول ايضا إبداء آراء **مولود قاسم** حول ما يهدد الهوية الوطنية في زمن العولمة .

أ. وظيفة الهوية في حياة الأمة:

لندرك أهمية الهوية لابد أن نتعرف على وصيفتها في حياة الأمة، وأن نتساءل هل تؤدي هذه الوظيفة في ظل العولمة أم أنها تؤديها في ظل الاستعمار المباشر فقط، فقد سبق للاستعمار التقليدي أن احتل العديد من البلدان بقوة السلاح لكنها لم تنعم بالراحة، فقد هبت الشعوب تدافع عن سيادتها إذ كان العنصر المحرك للمقاومة هو سلاح الهوية.[1]

[1] سالم فاطمة الزهراء: **نحو هوية عربية إسلامية**، دار العالم العربي، القاهرة، 2008، ص 177.

ولما أدرك المحتلون أن الهوية هي الدرع الفاصل بينها وبين ما تصبو إليه غيروا استراتيجيتهم فعمدوا إلى محاربة الهوية في حد ذاتها.

فالهوية حافظت على الروابط التي جمعت الأمة عبر مسيرتها التاريخية ومتنت نسيجها الاجتماعي ووحدت نظرتها إلى الكون والحياة، كما أنها تعد الحاملة للتراث الفكري بكل أشكاله والحاضنة له، وهي مصدر اعتزاز الأمة وتتمايز بها عن غيرها من الأمم الأخرى، وتقوم بدور تعبوي خاصة في الفترات الحرجة التي يصبح فيها كيان الأمة مهددا، فهي ترفض الذوبان والتماهي في الأخر، كما إنها الأرضية التي يمكن أن ينهض عليها أي بناء حضاري للأمة في المستقبل، فالهوية ليست انتماء إلى الماضي بقدر ما يساعدنا هذا الانتماء إلى صنع المستقبل.

ولعل أهم الوظائف التي تؤديها الهوية في المجتمعات فهي التي تضمن الاستمرارية التاريخية للأمة إذ لا يمكن في انتماءاتها، كما أنها تحقق درجة عالية من التجانس والانسجام بين أفراد الأمة الواحدة في مختلف الجهات الوطن الواحد، كما أنها تمثل الهوية والشخصية التي تحفظ صورة الأمة أمام الأمم الأخرى وذلك من خلال المحافظة على كيان المميز لتلك الأمة[1].

ولعل تعريف **هانس بيتر مارتن** و**هارولد شومان** للهوية باعتبار أنها: "هي كل ما يشخص الذات ويميزها، فالهوية هي الأساس تعني التفرد، والهوية هي السمة الجوهرية العامة لثقافة من الثقافات، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل، أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ، لذا فإن الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية من عوامل التعرية والذوبان"[2].

[1] سالم فاطمة الزهراء: **نحو هوية عربية إسلامية**، مرجع سابق، ص 177.

[2] هانس بيتر مارتن، هارولد شومان: **فخ العولمة** سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998، ص 20.

ب. التحديات التي تواجه الهوية الوطنية:

1. الغزو الثقافي:

لاشك أن الغزو الثقافي يستهدف البنية المعنوية للأمة ولأجل ذلك فهو يضربها في مقتل، لأنه متى سيطر على أفكارها ومعتقداتها استطاع تغيرها والعبث بها وحتي إلغاء حقيقة وجودها، لأن ما هو حاصل في الحقيقة هو إلغاء للهوية التي تمثل الكينونة المعنوية التي مع إلغائها سرعان ما تتغير الكينونة المادية للأمة، فتظهر بالمظاهر المادية للأمة الغازية، في اللباس والبناء وغير ذلك، على الرغم من أن هذا الغزو لا يستهدف المظهر، بل على العكس تماما هو يحرص على ترسيخ المظاهر الخاصة بكل أمة وبدعوتها دائما لإحياء تراثها المادي، لتبقي الأمة خاوية بلا روح ولن يتبقى لها إلا القشور، كما أن الهدف من ذلك هو إشعار الأمة بأن شيئا لم يتغير، ولأجل أن تظهر الأمة بمظهر المحافظ والمتمسك بالتراث والحق والأخلاق، وأهم الأمور التي يستهدفها الغزو الثقافي لإحداث هذا التغير الخطير في منظومة الأمة سواء القيمية أو الاجتماعية أو حتي السياسية والاقتصادية، هو ضرب الجذور لا القشور والأصول لا الفروع.

هذا ما أكده **مولود قاسم** في محاضرات الملتقي الفكر الإسلامي الذي تناول فيه قضية الغزو الثقافي: "قاوموا جارف التيار، فالأمم لا تبنى من قطع الغيار، إن الغزو والنزو حقا وردان، موجودان وسيكونان أعنف وأشرس قريبا جدا بالأقمار الصناعية التي يتنزل علينا سمومها بالتلفزة قريبا من السماء، ولكن هذا لم يكن ولن يكون له أثر إلا بتقبلنا السلبي له...بتلك الروح السلبية التي سمها المفكر المرحوم مالك بن نبي:

(القابلية للاستعمار) وأسميها أنا: (المركوبية) أي القابلية للغزو والنزو من الخارج"[1]، فالغزو هو كل فكرة أو برنامج أو نمهج يستهدف صراحة أو ضمنيا تحطيم مقومات الأمة العقائدية والفكرية والثقافية والحضارية.

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **محاضرات ملتقي الفكر الاسلامي**،ج1، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1985، ص51.

وأخطر ما في هذا الغزو هو أنه أصبح ذا دفع ذاتي تلقائي، حيث أنه يحصل دون أن يدرك الضحية ذلك فيقبل عليه بحماسة وتلهف لا على قبوله فحسب بل لاحتضانه واعتناقه، هذا الغزو الذي يتخذ أشكالا وألوانا متعددة عبر وسائل الإعلام، كما أنه قد يأتي في شكل موضة أو في شكل فكرة تحمل في طياتها أنها لمفكر أو لفيلسوف، إذ تتغلغل في أوساط المجتمع دون أي تأمل في قيمها وما تحمله من خير أو شر[1].

ولاشك أن الغزو الثقافة العالمية المعاصرة لمجتمعاتنا خلقت حالة من الاضطراب في منظومتنا القيمية، وهذا انعكس بدوره على نمط الشخصية الجزائرية، والتي باتت تعاني من هذا الاضطراب مما جعل بنيتها أكثر تفككا واستعدادا لتسرب القيم الأجنبية الوافدة، كما أنه خلق حالة من التناقضات داخل المجتمع الواحد، ومع تعمق هذه التناقضات ومع توالي الأزمات على مجتمعنا مما خلق حالة من الاغتراب عن الذات.

ولعل أبسط دليل على ذلك هو جهلهم بتراث أباءهم وتاريخهم، بل وحتي وحبهم وتذوقهم لموجه من الغناء الهابط والسطحي الذي هو منتشر في زماننا الحالي، فالموسيقى التي يريدها **مولود قاسم** هي كما يقول: "وذلك أن هذه الموسيقى، إذ تمتع العقل والروح معا، ترهف الحس، وتربي الذوق، بل وتعالج الجسم أيضا"[2]، فقد أصبح الشباب الجزائري يلهث وراء كل ما هو قادم من الغرب دون أن يعطي لما هو آت قدرا من التمحيص والنظر، **فمولود** يحث على أن تكون الموسيقى على قدر من الحياء تتغني بما يساهم في ترسيخ القيم الفضيلة ونبذ ما من شأنه أنسياهم في الانحلال الأخلاقي "ننصح الطلبة أن يحاولوا اللحاق بهذا الركب، ركب الموسيقى العالمية، هذه الموسيقى الرائعة الممتعة، هذه النفحة الروحية، هذه الموسيقى التي ليس فيها كلام ناب، وغراميات، وخمريات من كلام لا يستطيع الإنسان أن يسمعه مع أسرته وهي مجتمعة حول المذياع أو التلفاز، انا هذه الموسيقى التي تسمو بالإنسان"[3].

[1] عبد الكريم بكار: **العولمة**، دار الإعلام، عمان، 2002 ص85.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص633.

[3] نفسه، ص447.

ولعل واقع الإنسان الجزائري الراهن أشبه بذلك العالق في عنق الزجاجة تتجاذبة قوتان، إحداهما قوي العصرنة التي تشده بهرجها، والثانية قوي الأصالة التي تشده بعراقتها وتجذرها في كيانه، وبين الشد والجذب يصبح الفرد في حالة اغتراب حقيقي وتيهان، إضافة إلى ذلك هناك أخطار أخرى تهدد الهوية الوطنية بصفة خاصة والهوية العربية الإسلامية بصفة عامة من جراء هذا الغزو الثقافي، هو تسابق الشباب واللهث وراء مختلف معطيات الحضارة الغربية، وتشبثه ببعض قشورها وغفلته عن لبابها، وهذا ما يستدعي ضرورة شحذ الهمم وإيقاظ الوعي المسترخي لدي فئات المجتمع، للتعامل العاقل والرشيد مع مختلف الموجات الحضارية التي تهب من كل حدب وصوب، يقول **مولود** قاسم متسائلا: "هل سنتبع أوروبا وأمريكا الأن في جميع نزواتها ورقصاتها البهلوانية، ونتخذ نصف العري موضة، لا لسبب إلا لأنه أتانا منها"[1]،كما أن المتأمل لحال مجتمعنا يجد طمسا واضحا وواقعا في كثير من معالم الشخصية الوطنية.

ولعل أبرزها ذلك ما يظهر في الزي واللباس الذي أصبح يتخذ أشكلا لا تمس للحشمة والوقار في شيء: "وهناك ظاهرة أخرى جديرة بالملاحظة، هو الاقتداء الأعمى بكل ما هو أجنبي وتتجلى هذه الظاهرة في الملبس النسوي، قد يدور في بعض المخيخات أنه لمن السطحية بمكان أن يحط الإنسان بنفسه إلى حد الكلام عن الميني جوب التي هي مرتفعة فعلا، لتحل محل الماكسي بعد مدة قصيرة، وقد تعود قريبا من جديد إلى ميني أقصر من ذي قبل، وترتفع إلى أعلى فأعلى...عليين...وهكذا دواليك...واتبعوا أيها القوم التبع"[2]،كما أن أبرز المخاطر التي تتهدد الهوية الثقافة للأمم والشعوب هو تسلط الثقافة الغازية على الهوية الوطنية والعبث بها وإلغائها وذلك من أجل الإبقاء على هوية واحدة هي هوية الأقوى، وذلك من خلال طمس الهوية الأصلية ومحو معالم الشخصية

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، ص132.

[2] نفسه، ص132.

الوطنية المميزة لكل أمة، ثم صبغ هذه الشخصية بثقافة الغربية[1]، فالغزو الثقافي هو ببساطة تصدير أساليب حياة وقيم سائدة في مجتمع متطور تكنولوجيا، علميا، تقنيا، اقتصاديا، إلى مجتمعات متخلفة وضعيفة.

ولهذه الأسباب وأسباب أخرى يدعوا **مولود قاسم** إلى ضرورة الانتباه إلى ما تتعرض له الأمة من اختراق ثقافي لمقوماتها وخصوصياتها التي تحفظ وجودها، والتي تختلف عنها في الأمم الاخرى، فلكل أمة ثقافتها الخاصة وخصوصيتها التي لا تتشابه مع غيرها من الأمم الأخرى، يقول: "ينبغي اليوم إيقاف هذا الغزو الجديد، والقضاء على آثاره، وهنا تضعون خطة رده وصده، بل وقهره ودحره، بمنع تسلاته، وإبطال تعللاته، وبالحجة والاقناع، بالتسلح الفكري، وضمان المناعة الروحية، وتوفير الحصانة المعنوية،: بالدين، والأخلاق، والتربية والثقافة، في الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والإعلام، فضلا عن الحصانة المادية بالتقدم التقني، والاستقلال الغذائي، وفي التجهيزات العسكرية الاستراتيجية، وبالطابع الحضاري المنسجم المتكامل".[2]

فالتعدد الثقافي هو السمة البارزة والمميزة لكل حضارة، ولهذا لبد من أن نستغل هذا التعدد الخضاري للإثراء والتنوع، لا تعدد إلغاء وتشرذم، من خلال الاعتداد بذاتيتنا والانفتاح على الاخر بما يحقق التواصل المثمر بين الحضارات المتجاورة، وفي هذا يقول **مولود قاسم**: "فالإنية والأصالة تتضمنان الأخذ عن الغير، مع ضمان الحصانة من الغزو، وتوفير المناعة من النزو، فالأصالة والتجديد أن يكون الإنسان ابن عصره، مع البقاء على أديم مصره، لا أن يصبح نسخة غيره، محرف سيره، جالب ضيره، وعدو خيره"[3].

2. العولمة والهوية:

إن الخطر الأكبر الذي يتهدد الأمم والشعوب في هذا العصر، هو ذلك الخطر الذي يمس الهوية والذاتية الحضارية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم، والذي قد يؤدي إذ استفحل إلى ذوبان

[1] عبد الكريم بكار: **العولمة**، مرجع سابق، ص 84.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **محاضرات ملتقي الفكر الاسلامي التاسع عشر**،ج1، مرجع سابق، ص ص 47 48.

[3] نفسه، ص 50.

الخصوصيات الثقافية التي تجمع الأمم والشعوب، هذا الخطر الذي يرمي إلى تجريد الإنسانية من التنوع الثقافي والتعدد الحضاري، التي تنبني عليهما الخصوصيات التي تميز هذه الشعوب، وتستمد منها عناصر طاقتها ومعاني وجودها وأسباب عطائها، ورمز عزها ومجدها، هذا الخطر الذي يطلق علية اسم العولمة والتي تعرف حسب معجم مصطلحات عصر العولمة بـ "العولمة مصطلح انتشر في السنوات الأخيرة فكرتها الأساسية ازدياده العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، وفي انتقال رؤوس الأموال، أو في انتشار المعلومات والأفكار وسرعة تدفقها، أو في تأثر أمة بقيم وعادات وتقاليد وقواعد غيرها من الأمم، تهدف إلى، إضعاف القوميات وإضعاف فكرة السيادة الوطنية، وصياغة ثقافة عالمية واحدة تضمحل إلى جوهرها الخصوصيات الثقافية للأمم الأخرى"[1]، وعليه فالعولمة هي ترويج لقيم وسلوكيات وأنماط عيش معينة، وتحويل ثقافة إلى سلعة شأنها شأن السلع الأخرى.

كما أنها تعني ذوبان الخصوصية والانتقال من العام إلى الخاص، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن الجمود إلى الشامل، وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الهوية متقاطعا كليا مع مفهوم شمولية والعمومية، فالهوية هي انتقال من العام إلى الخاص ومن الشامل إلى المحدود، إذ تبحث عن التمايز والتباين المشخص والمتفرد، أما العولمة عن العام والشامل واللامتجانس واللامحدود[2]، هذه العولمة التي باتت تهدد الإنية الجزائرية على جمع الأصعدة سواء على المستوي الديني أو على المستوي اللغوي، كما ناها زادت من شعور الأفراد بالاغتراب، والذي يعني ضعف الانتماء الوطني وزيادة التفكك، وذلك بدوره يؤدي إلى حالة من التذبذب على المستوي الانتماء، وهذا الوضع يؤدي إلى ما أسمته العالمة الأمريكية والأنثروبولوجية **مارغريت ميد** "عهر العولمة".[3]

[1] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: **معجم مصطلحات عصر العولمة**، على موقع WWW.kotobanabia.com، تاريخ الدخول: 12-04-2016.

[2] علي أسعد وطفة: **صدام الهوية والعولمة**، مجلة أراء، مركز الخليج للأبحاث، العدد 71، أوت 2010.

[3] علي أسعد وطفة: **الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي والثقافة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003،ص37.

ما دامت الصراعات القيمية تهدد مفهوم الانتماء وقبول هذا الانتماء، فهي تحدث أزمة هوية ووجود، لأن التكامل والانسجام في مستوي النسق القيمي يشكل منطق وحدة الهوية، وقانونية تماسكها، وإن تشظي الهوية وانحرافها يأتي دائما كنتاج للصراعات القيمية التي لا تقبل إحدى أطرافها الهزيمة والانسحاب، فالهوية المتحررة هي تلك التي تقبل التغير الإيجابي وتحرص عليه، مؤكدة حيوية العلاقة بين عناصرها التي لا ترفض كل ما يزيدها قوة بل تقبله وتتمثله وتضيف عليه ما يعيد إنتاجه على نحو خلاق، يساهم في تأكيد حضورها الفعال في الوجود.

فعصر العولمة يجسد ثورة الاتصالات وتدفق المعلومات وسيادة ثقافة مغايرة على ما هو مألوف، تعمل على تهديد خصوصيات الشعوب وتضعف دور المؤسسات التربوية في صياغة الشخصية الوطنية وغرس الهوية.

في سياق آخر نجد **إدغار موران** يصف العولمة والاخطار التي نتجت عنها بأنها كما يقول: "تواجه البشرية وحشا متعدد الرؤوس أنجبته هي، إن محاربة كل رأس عملية غير مجدية، ومحاربة جميع الرؤوس عملية هرقلية"[1]، والأمر الذي لابد أن ننتبه له هو أن مخاطر العولمة على الهوية إنما هي مقدمة لمخاطر أعظم، على الدولة والوطن والأمة، كما أنها تختفي وراء أقنعة مزيفة كـ (حماية الأقليات، حقوق الإنسان والمرأة)، بل تتجاوز ذلك إلى تدعيم المتبنين لها والضغط على الحكومات لأجلهم[2]، كما أنها تسعي إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني على سبيل صياغة نسق ملزم من القواعد الأخلاقية الكونية.

ولهذا نحن بحاجة إلى معرفة واعية ندخل بها عصر العولمة مطمئنين على هويتنا، أمنين على ذاتيتنا، ولن يتأتى ذلك إلا بانتهاج أسلوب التعامل الواعي مع العولمة، بما يمكن الحفاظ على الذات دون الغرق في المتغيرات أو العزلة عنها، ففي مثل هذه الحالة تكون الذات مشاركة مع الذات الاخرى في بناء الثقافة العالمية المشتركة يقول **مولود قاسم**: "وهذه الأصالة تفرض على الإنسان أن يكون "هو هو" غير مجتث الأصول، بل يضرب بجذوره في

[1] إدغار موران: **النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية**، ترجمة، هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ص267.

[2] حسن حنفي: **الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية**، منشورات الجامعة، الأردن، 1999، ص335.

الأعماق، تستلزم في الوقت نفسه خلق سياج والمشاركة في الوجود، وأخذ حظه كاملا من الضوء والأكسجين الذين هما إكسير الحياة، أي أنه يبقي عالقا بأصلة، محافظا على عناصر ذاتيته ومكونات شخصيته، يواكب الوجود في الوقت ذاته، ويساهم في المسيرة الإنسانية"[1]، ولهذا وجب الوعي في التعامل مع مضامين التي تقدمها العولمة، والتي يجب أن تساهم في ترسيخ الهوية الوطنية لا أن تكون معول هدم القيم والتراث الوطني، وتساهم في الانحلال الخلقي، والتبعية لكل ما هو قادم من الحضارة الغربية: "فنحن مع التقدم والعالمية والتفتح ولكن لا لتهدم والانفتاح والانبطاح، فنحن نأخذ من غيرنا مقبولاته، ونضرب صفا عن مرذولاته"[2]، فتعدد الثقافات يجعل من الفرد الجزائري بالوجه الخاص والفرد العربي على وجه عام يشعر بحالة من الاغتراب الهوياتي، ولا يمتلك هوية مميزة، وفي الوقت ذاته يعجز الماضي عن علاج مشكلات الحاضر، كما أن العولمة لا تسمح بعودة إلى الماضي بل تدفع بالإنسان قصرا للسير إلى الأمام، وليس له من ملجأ سوي خلق عالمة العربي الإسلامي على الأقل في مواجهة التكتلات الدولية الأخرى التي تقود هذا التيار الجارف.

كما وصف **إدغار موران** سيرورة العولمة في كتابة **هل نسير إلى الهاوية؟**، على أنها أسوء شيء إذ أصبحت تحط من شأن التسابق (صوب الهاوية) بعد أن أطلقته، و أفضل شيء فلأول مرة في التاريخ يمكن لنا المصير المشترك أن نتصور (أرضا وطنا) لا تلغي أوطانا بل تجمعها وتحتويها[3]، والتي أطلق عليه اسم الهوية الكونية، فالمخرج الوحيد الإنسانية من هذه الأزمة–حسب **إدغار**– تتجلي في أن إمكانية الفهم تتيح الاعتراف المتبادل بين الذوات المختلفة، ضمن علاقة إنسانية، فالعلاقة بأخر متأصلة فينا، فضلا عن ذلك فإن حاجتنا لاعتراف الأخر بنا هي جزء لا يتجزأ من حاجتنا الذاتية لتأكيد ذاتنا، وعليه لم يدعونا **مولود** إلى أن نركن إلى الجمود والخمود، وإنما دعا إلى ضرورة الأخذ من الآخر والعطاء له: "فنحن أيضا نأخذ من غيرنا، بدون أدني تحرج ولا تردد، ولكن

[1] مولود قاسم: **أصالية أم انفصالية**، ج1، مصدر سابق، ص91.

[2] مولود قاسم: **محاضرا ملتقي الفكر الاسلامي التاسع عشر**، مرجع سابق، ص49.

[3] إدغار موران: **هل نسير الى الهاوية؟**، عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص5.

نأخذ الجوهر فقط بل علينا أن نكد ونجد، ونسعى للحصول على ما لديه من ضروري ومفيد، ولا ننتظر حتى ينقلوا إلينا العلم والتكنولوجيا، لأنهم لن ينقلوهما إلينا، لأنهما ضروريان للحياة، والحياة صراع، وتنافس، وسباق حرب حضارية واقتصادية، وثقافية".[1]

لكن المشكلة ليست في خيار العزلة أو الرفض القائم على نظرة أحادية للهوية والثقافة الذاتية، إذ أن ذلك مستحيل واقعيا، خصوصا في مثل هذا العصر الذي نعيش فيه، عصر العولمة المتسارعة، ولكن المشكلة تكمن في تشويه العلاقة التاريخية والحياتية بين جانبي ثقافة الجماعة، حين الإصرار على تصور أحادي لها تجب حمايته والوصاية عليه، فالمتغيرات سوف تجد لها منفذا حتى ولو كانت أبراج الحماية والوصاية مرتفعة، ولكن ذلك سوف يؤدي إلى إنتاج نمط ثقافي مشوه، نتيجة الفصل التعسفي بين ما هو ذاتي أصيل، وبين ما هو دخيل، دون أن يكون هناك في الحقيقة معيار واضح ومتفق عليه لما هو أصيل وما هو دخيل.[2]

وفي ظل هذه التطورات ثمة سؤال وجودي، عما هو مصيرنا ومصير هويتنا؟ وفي محاولة للإجابة عن هذا السؤال يكون بالدعوة إلى المشاركة، ولا مناص من المشاركة في وضع ثقافة عالمية جديدة، واعتبارا أن أي رفض في هذا المجال يؤدي إلى أي نتيجة إن لم يؤدي إلى القضاء على الثقافة والهوية الوطنية، إذن إنها دعوة وإصرار على الاندماج في العصر ومحاوله امتصاص المتغيرات والتحولات بعقل واعي يساهم في الحفاظ على كينونتنا ومن ثمة هويتنا في عالم لا يرحم.

[1] مولود قاسم: **محاضرات ملتقي الفكر الإسلامي التاسع عشر**، مرجع سابق، ص49.

[2] تركي الحمد: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، 1999، ص100.

المبحث الثالث: تحديات الهوية في ظل التنوع الثقافي

تمهيد:

ما يحصل الآن في العالم العربي من حروب أهلية وانفجارات بركانية له علاقة بالهوية والذاكرة ومسارات الاعتراف، فلو أننا اعترفنا ببعضنا بعضا، وأحببنا بعضنا بعضا من خلال تنوعنا وتعدد هوياتنا الخصوصية لما حصل ما حصل، ما أجمل التنوع من خلال الوحدة، والوحدة من خلال التنوع، لا ريب في أن المسبب الأول للدمار الحالي هو الأنظمة الاستعمارية الضاغطة على قلب الشعوب منذ عقود عديدة، ولكن إذا ما موضعنا الأمور ضمن منظور المدة الطويلة للتاريخ فإننا نجد أسبابا بعيدة وعميقة الجذور، ومن الواضح أن الوحدة الوطنية لن تتشكل وتلتئم ما لم نعالج هذه المشاكل البنيوية العالقة منذ قرون وهي في حالة عرقية/لغوية بالدرجة الأولى: أي عربية/أمازيغية.

كل هذه المشاكل ستنفجر في وجوهنا كالقنابل الموقوتة فهي لم تكن معدومة في الماضي كما يتوهم البعض وإنما كانت مكبوتة، بل كانت تغلي تحت سفح من حديد كما أنها كانت تظهر للسطح من حين لحين صحيح أنها كانت نائمة إبان هيمنة الاستعمارية، لكنه حاول تجهيزها بإثارة النعرات بين سكان الوطن الواحد فهذه إحدى المشاكل الكبرى التي لا يمكن تجاوزها حقيقة إلا بعد تحليلها تحليلا تاريخيا موضوعيا مسؤولا وأخذها على محمل الجد، وهذه المشاكل أعمق مما نتصور لأول وهلة، إنها مشاكل خاصة بالهويات الخصوصية والذاكرات الجماعية ومسارات الاعتراف، وما لم يتم الاعتراف بهذه الذاكرات والهويات التي كانت مطموسة سابقا فإن التوعك الاجتماعي أو القلق النفسي الاجتماعي سوف يستمر ولن تتحقق الوحدة الوطنية على النحو السليم.

أ. التكامل التاريخي بين الأمازيغ والعرب:

تعني القومية من لفظها، الإحساس والتعبير عن هذا الإحساس بالانتساب إلى القوم من الأقوام دون أخرين كما يعبر البعض عن القومية بالوطنية، ويعبر عنها البعض الأخر بالعصبية، وإذا ما أخذنا هذا المفهوم العام والشائع للقومية فإننا نجد أن **مولود قاسم** وظف هذا المصطلح للتعبير عن التمسك بالوطن والأرض والتاريخ واللغة والقوم، ومن ثمة جعلها ترجمة فعلية للإنية والأصالة، ولكن توظيف كلمة القومية هنا يختلف تماما عن المعني السائد لهذه الكلمة، بل تعني مباشرة مسألة اللغة سواء كانت اللغة العربية أو اللغة الأمازيغية، وأرجح الأمر أنه يقصد اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها واستعمالاتها الإقليمية، وهو ما يظهر في قوله: "إني بلغتي التي كانت تناغيني بها أمي، وتقص لي بها القصص جدتي، ويتفاهم بها جميع سكان قريتي، أو حيي في بلدتي ومدينتي، واتناغم بها مع ابناء وطني، وأتناجى بها مع آبائي واسلافي، وأقرأ بها تاريخ وأمجاد أمتي... وأفاخر بها أضدادي"[1].

من هذا المنطلق سنتناول تعرض **مولود قاسم** لمسألة القومية الأمازيغية والتنوع الثقافي في الجزائر ونرى ماهي أهم التحديات التي تهدد الهوية الوطنية بالانشطار والتشظي والانقسام، كما أننا سنبدأ مبحثنا هذا بتذكير أولا وقبل كل شيء بالأسبقية التواجد الأمازيغي في الجزائر خاصة والمغرب العربي عامة، كما أننا سنستعرض أهم الصعوبات التي تقف في طريق الوحدة الوطنية، وهذا دون الإغفال عن ما تركه الاستعمار من شحنات تحاول الخروج إلى السطح تدعوا إلى ضرورة الانفصال، بحكم الأسبقية التواجد العنصر الأمازيغي هذا من جهة، والاختلاف الثقافي(اللغة العادات والتقاليد) من جهة ثانية.

من المتعارف علية هو أن الجزائر تضم تشكيلة متنوعة من الثقافات، كما أنه يتألف من فئتين عرقيتين هما: فئة العرب وفئة الأمازيغ، ومن المتعارف علية أن العرب جاءوا بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي، كما تضم الفئة الثانية العديد من الفروع هي: (**الشاوية، القبائل، بني ميزاب، والطوارق**)[2]، هذه التشكيلة المتنوعة المجتمع

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**،ج1، مصدر سابق، ص68.

[2] عمر عسوس: **أزمة الهوية لدي البربر في الجزائر**، دراسات عربية، العدد 21، بيروت، ص19.

الجزائري لم تكن في يوم من الأيام مدعاة وعاملا للصراع أو الفتنة، فأمازيغ امتزجوا بالعرب في انسجام وتوافق تحت راية الإسلام، وهو ما أكده **الإمام عبد الحميد ابن باديس** في قوله: "إن ابناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشرة قرنا، ثم دأبت تلك القرون تمزج بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر، وتوحدهم في السراء والضراء، حتي كونت منهم في أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمة الجزائر وأبوه الإسلام"[1]، فهذا الاعتراف بالقومية الأمازيغية الضاربة في أعماق التاريخ والتي تحفظ للشعب الجزائري ماء الوجه بين الأمم العريقة تاريخيا، ما دام أن هناك من يحاول ضربنا في أصالتنا بانعدام الأصل يقول: " يبقى أن الفرنسيس استعملوا مدة طويلة التميز العرقي من الاجناس، وقال ديغول وغيره: "إن الشعب الجزائري فسيفساء من أجناس، لا يكونون أمة واحدة"، فذلك من سياستهم أنا لا أدري إن كان أصلي من هذه البلاد منذ الأول ... فأقول المسألة كلها نسبية"[2].

هذا الاعتراف الذي صرح به **مولود** عن قوميته وانتمائه الأمازيغي لم يأتي من فراغ، بل جاء نتيجة ضغطات تعرض لها **مولود** كونه نشر في أحد الأيام صورة **يوغرطا** على الصفحة الأولى لمجلة الأصالة، حيث رموه بالرجعية والقومية يقول: "وعندما نذكر نحن يوغرطا نري جهلة حمقى تغمز، وتهمز وتلمز، وإذا كان لابد من الرجوع إلى الجاهلية الأولى، وأنتم البادئون فهل قاوم أسلافكم أكثر من أسلافنا؟ لا وربكم، لا والتاريخ"[3]، فهذا الاعتراف ليس على أساس القومية والعرقية، بقدر ما هو اعتراف على أساس حضاري، فأمازيغ هم السكان الأصلين لبلاد المغرب العربي، وهو تأكيد **ابن خلدون** إذ يؤكد أن الأمازيغ أو "**البربر**" هم أبناء مازيغ بن كنعان بن حام، وأصلهم من بلاد ما بين النهرين بأسيا، ثم ارتحلوا إلى بلاد المغرب، وهم الذين اخترقوا عشرات القرون من تاريخه[4].

---

[1] محمد الميلي: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، مرجع سابق، 50.

[2] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**،ج1، مصدر سابق، ص399.

[3] مولود قاسم نايت بلقاسم: **إنية وأصالة**، مصدر سابق، 303.

[4] أحمد توفيق مدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،2001، ص32.

فلا طالما كانت هناك العديد من النقاشات حول شرعية الانتماء الحضاري الأمة الجزائرية، والتشكيك في أصالتها التاريخية، لهذا كانت أراء **مولود** واعتزازه بالقومية الأمازيغية ردا على من وصف الجزائر بأنها دولة فتية لا صلة لها بالتاريخ، فقد ظل **مولود** يؤكد على أن أول سكان للجزائر هم الأمازيغ، ثم أتي العرب الفاتحون بالدين الإسلامي الذي وحد شملهم تحت دين واحد وبلد واحد، **فمولود** صرح في العديد من المناسبات أنه لا علاقة له بالعروبة إلا من قبيل أنه مسلم، كما دعا إلى ضرورة الاعتراف بالتاريخ القديم وبكل ما يحمله من لغة وقومية وعرقية، لأنه يمثل بطاقة الهوية وشهادة العراقة والأصالة.

هذا التاريخ الذي يمثل أهم رموز التاريخية والقومية والعرقية يقول: "ولكن هذا الجزء من تاريخنا لا ينسى أبدا، وكما ندرس تاريخ الشعر الجاهلي، وندرس خضارة حمير وسد مأرب...نفتخر بهذا الجزء أيضا كذلك وبالذات، تماما كما فعل إخواننا في مصر، كما يفعل إخواننا في سوريا، والعراق، وكما يفعل إخواننا في اليمن"[1] إذن فالقومية الأمازيغية واللغة هما ضامنتان لتميز الشعب الجزائري في إنيته عن باقي شعوب العالم شرقها وغربها.

لقد انتهج الاستعمار الغربي العديد من الممارسات للقضاء على المستعمرات التي احتلتها ومن بين هذه الممارسات هو القضاء على الوحدة الوطنية لمجتمعات والبلدان المحتلة، وذلك بزرع بذور العرقية بين فئات المجتمع وذلك عملا بمبدأ "**فرق تسد**"، ولتطبيق هذا المبدأ عملت فرنسا على نشر التفرقة بين جماعات العرقية المؤلفة للمجتمع الجزائري، مركزة على البربر موهمة إياهم بأنهم من أصل أوربي، لذا من الأفضل لهم العمل على بناء هويتهم الخاصة بهم، ومن أجل هذا الهدف عملت فرنسا على إبراز الهوية الأمازيغية من خلال الإرساليات التبشيرية، وهو ما يؤكده **توفيق المدني** بقوله: "ورغم أن الاستعمار قد أصاب السكان هذه البلاد بنكبات فادحة فقد حاول أن يفصل بين العرب والأمازيغ وحاول أن يقتطهم من حسم العروبة والإسلام، إذ نشر في ربوعها التعليم الفرنسي، وحارب اللغة العربية والإسلام حربا لا هوادة فيها، فاسحا المجال أمام الإرساليات

[1] مولود قاسم نايت بلقاسم: **أصالية أم انفصالية؟**،ج1،مصدر سابق، ص409.

التبشيرية لخلق النعرات بين العرب والأمازيغ، وتدعوا الناس إلى محاربة الإسلام والعروبة "[1]، هذا ما أدي إلى ظهور الحساسية بين سكان الوطن الواحد والمطالبة باستقلال الهوية الثقافية البربرية على العربية.

ومن المتعارف عليه أن أية علاقة لبد أن تقوم على لحمة وثيقة الصلة تجمع بين أفراد المجتمع الواحد والعلاقة التي عادة ما تقوم عليها أية جماعة هي "**العصبية**"، هذه العصبية الموروثة بالأساس من القبيلة البربرية أو العربية، وهذا النظام هو أحد السمات الثقافية للقرابة لهذين العرقين، ولأنها المحرك الأول للعلاقة أو القرابة، كما أنها تتجاوز هذه العلاقات إلى علاقات أخرى سياسية و اقتصاديه واجتماعية، ونفسية شعورية أو لا شعورية في ذات الوقت، فهي الرابطة بين ابناء الشعب الواحد: "إن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع علية وجودها، وقد بينا أن الأدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية"[2]، ونحن نلاحظ هذا التعصب العرقي مشاهدا على أرض الواقع الجزائري، وساري المفعول إلى يومنا هذا، فبهذه العصبية تتغير أهم معالم الوحدة الوطنية وهو مشاهد حقا في واقعنا عندما نقول هذا: "قبائلي، ومزابي، وشاوي، و تارقي".

أما بالنسبة للسان أو اللغة فنلاحظ أيضا أن هناك العديد من اللهجات تكتسي الوطن الجزائري، وهو ما أوقع الثقافة الجزائرية في جدالية قائمة بخصوص ما إذا كان يتوجب تصنيف هذه اللهجات إلى لغة، وذلك بسبب افتقارها إلى نظام رمزي هجائي وقواعد نحوية وصرفية موحدة بين جميع مستخدمي هذا النسق على المستوي الوطني، فالأمازيغية هي لغة سكان شمال إفريقيا حسب الباحث **كارل بيرتارس**، الذي أكد أن اللغة الأمازيغية تعود إلى10.000 ق م[3]، وهذا ما يؤكد أن الأمازيغية لغة قديمة قائمة بذاتها، كما تنقسم اللهجات الأمازيغية في الجزائر بحسب المناطق المتواجدة بها وهي:

---

[1] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مرجع سابق، ص34.

[2] ميمون مناصريه: **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة**، مذكرة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر، الجزائر،2012، ص 291.

[3] نفسه، ص296.

- منطقة جبال الأوراس(تتحدث الشاوية)
- منطقة القبائل (تتحدث القبائلية)
- منطقة وادي ميزاب(تتحدث المزابية)
- منطقة الآهقار(تتحدث التارقية)[1]

ب. ملامح الأزمة الثقافية:

لعل من بين الأسباب التي تؤدي إلى حدوث أزمات في النسق الاجتماعي وفي قضية الانتماء، مرده بصورة مباشرة إلى فشل في صنع الهوية الخاصة، أوفي أن النموذج الذي ينتمون إليه لا يتناسب مع رغبات والتوجهات، وعندما لا يحبون الهوية التي اختاروها أو اجبروا على تبنيها، كذلك يمكن أن تحدث أزمة في هذا النسق بسبب غموض نظرة الناس إلى هويتهم، أو يفتقرون إلى هوية واضحة، كما أن من أسباب الأزمة الهوياتية مرده إلى وجود قيمتان متصارعتان، وأيضا عندما يتبني المرء نظامين مختلفين من القيم، فإن ذلك سيؤدي لا محالة إلى وقوع أزمة هوية وأزمة في القيم[2]، ولعل أبرز مظاهر الأزمة الهوياتية التي تعاني منها الجزائر يتجلى في العديد من المظاهر التي توحي بطريقة غير مباشرة أو غير مباشرة إلى أن هناك أزمة في المنظومة الثقافية للمجتمع الجزائري، وأهم هذه المظاهر هي:

أولا: تتميز الجزائر بغياب وحدة ثقافية مما أدي إلى تصدع الهوية أي عندما انطوت الثقافة على عناصر واتجاهات متناقضة، كوجود التيار العلماني في دولة إسلامية.

ثانيا: عجز المنظومة الثقافية عن أداء الوظائف الأساسية المنوطة بها، بما يحقق التكيف وانسجام مع الحياة اليومية ولكن ما زاد الطين بلة هو وجود المتناقضات في مجتمع واحد، وما ساهم في ذلك هي المؤسسات التربوية فالمدرسة ذات المناهج الغربية و المساجد ذات المناهج الإسلامية، فالمدرسة هي أول مؤسسة يتعلم فيها الطفل العلاقات الإنسانية، من حب كراهية، وخير وشر وانتماء فالمدرسة تعتر الأداة والمكان الذي بواسطته ينتقل الفرد من حياة

[1] ميمون مناصريه: **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة**، مرجع سابق، ص297.
[2] نفسه، ص 298.

تتمركز حول الذات إلى حياة التمركز حول الجماعة، إنها الوسيلة التي يصبح من خلالها الفرد الإنسان إنسانا، اجتماعيا وعضوا عاملا وفعالا في المجتمع[1].

ثالثا: تعاني الجزائر من خلل زمني، إذ صعب علينا ايجاد معادلة التوازن بين الأزمنة الثلاثة(الماضي، الحاضر، المستقبل)، فجزء من الثقافة الجزائرية متخندق في الماضي، يريد الأصالة ويري أن الحياة يجب أن تعاش كما عاشها السابقون، وتدعوا إلى التمسك بالتراث، وجزء من الثقافة متخندق في الماضي ويري في الحياة أنها يجب أن تعاش كما عاشها **يوغرطا وماسينيسا ويوبا الثاني**، وهذا العائق هو عائق ازدواجية الشخصية، وهو طرح **عابد الجابري** إذ يقول: "نحن اليوم المتخلفون عن جيراننا شمال البحر الأبيض المتوسط يوجد فريقان: فريق يعيش المستقبل في تراث الغرب وفلسفته، وفريق يعيش المستقبل في ماضي العرب وتراثهم"[2].

إن ما ساهم في بلورة الأزمة التي تهدد كيان الوحدة الوطنية بالانشطار والتشظي كما الحال في السودان فبعد أن كان أكبر بلد إفريقي أصبح الآن هناك سودان شمالي وسودان جنوبي، إذن ما ساهم في هذه الأزمة هو قلة حنكة المسؤولين نتيجة سياسة الإهمال والتهميش التي يعتبرها الأمازيغ هي سياسة إقصاء في حقهم، وفي هذا الصدد يقول **سليمان عشراتي**: "لقد عاش أوصياء الاستقلال أو جيل الشرعية، مغترة غمرتها الملهيات والمغريات العابرة، ولم يتفطنوا أو لم يتحوطوا لما يتهدد المجتمع من أخطار السيبة وعدم التكفل الحق...ضمن رعاية مخلصة وتوجيه يستغل القبائلية التي كانت المجتمع يطهرها ولم يستثمرها الساسة لصالح الوطن، وهو ما كان له فادح النتائج التي يرزخ تحتها الوطن اليوم"[3]، ولعل أحداث أكتوبر 1988م خير دليل على شدة حدة الأزمة الجزائرية وهو ما انجر عنه إرساء التعددية الحزبية والديموقراطية.

[1] عبد القادر تومي: **التربية والمجتمع في زمن العولمة وأسئلة أولويات**، مجلة التربية و ابستمولوجيا، مرجع، ص12.

[2] أحمد ناشف: **لغة التعليم في الجزائر في ظل مجتمع المعرفة**، مجلة أبستمولوجيا، مرجع سابق،ص68.

[3] ميمون مناصريه: **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة**، مرجع سابق، ص 306.

لكن ما فتئت تخمد نار الفتنة إلا واشتعلت من جديد، وهو ما ظهر في أحداث الربيع الأمازيغي سنة2001م، ورفع شعارات المطالبة بالانفصال والدعوة إلى الحكم الذاتي بالتالي استقلال الهوية الأمازيغية عن الهوية العربية.

ولعل أهم الاسباب التي جعلت الجزائر تدخل في أزمة هوية وانتماء تتمحور في سببين اثنين هما:

أولا: الإرث الاستعماري الثقيل الي خذر الثقافة في المجتمع الجزائري.

الثاني: هو سيادة عقلية الاقصاء والتغيب لبعض ما يميز الشخصية الجزائرية.

بالنسبة للسبب الأول يؤكد الأستاذ **أحمد بن نعمان** أن الهوية الوطنية ستظل مهددة بسبب الموروث الثقافي الفرنسي الذي خلفه وراءه، ولعل أبرز مخلفاته هو اللغة الفرنسية يقول: "والوحدة الوطنية ستظل مهددة بالفرنسية وليس بالمزابية أو الشاوية، فلو طبق الدستور منذ صدوره في طبعته الأولى سنة1963م،لما كان أي شيء في الجزائر مما نتجرعه اليوم بمرارة"[1].

ومن جملة هذه الأزمات التي تهدد كيان الوحدة الوطنية بالانقسام والتشظي، نخرج بمجموعة من الحلول لعلها تساهم في الحد من وطئها، فالحل الأولي لهذه الأزمة يبدأ بالتربية التي تعد حجر الأساس للصمود، فالتربية كونها عملية شاملة تعيد بناء وعي الذات الوطنية أو القومية أو الفردية، في سياق ثقافي سلوكي يحافظ على الخصوصية وينفتح على الإنسانية بمكوناتها العلمية والثقافية بصورة مفاعلة، تدرك من أين تبدأ وأين تسير[2].

كما أن مخرج الأزمة هو في امتلاك ثقافة البناء الجماعي الذي يساهم في تعزيز الوحدة بدلا من الاختلاف هذه الثقافة التي لم تشملنا بعد، وإذ لا زلنا لم نمتلك ما يسميه مفكر الحضارة **مالك بن نبي** "بالفاعلية الحضارية"

[1] أحمد بن نعمان: **مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء وخيانة الخفراء**، مرجع سابق، ص 472.

[2] عبد القادر تومي: **التربية والمجتمع في زمن العولمة وأسئلة أولويات**، مجلة التربية و ابستمولوجيا، مرجع سابق، ص14.

ولم نمتلك أسبابها، ولم نبلغ مستواها إلى الآن، بالقدر الذي يغدو معه حب العمل والخلق والإبداع المثمر من سمات المجتمع الجزائري بجميع فئاته وتفرعاته، كما أننا في خضم هذه لم نري للمثقف الجزائري أي إسهام في محاولة التهدئة والحد من هذه الأزمة التي تعصف بالهوية إلى التصدع والتشوه في الوقت الراهن، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على وجود نفسية انهزامية والتخلي عن الواجب، ولعل المخرج لهذه الأزمة التي تشكل تحديا يقف في وجه التطور الاقتصادي والازدهار الثقافي للإنية الجزائرية هو الاعتراف بهذه الهويات والجعل من هذا التنوع الثقافي وسيلة من وسائل الابداع فبدلا من الاختلاف يجب علينا التفاهم والانسجام، ولنعمل على تشكيل وحدة وطنية حقيقية تضم في طياتها هذا التنوع الثقافي الذي تشهده الجزائر، ومن ثمة الطموح لتشكيل وحده عربية إسلامية تنافس الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية.

وضمن توجه قريب من هذا التصور، يرى **الفيلسوف الألماني إكسال هونيث** صاحب فلسفة الاعتراف أنّ منطق المصلحة والمنفعة وحده لا يكفي لفهم الصراعات والنزاعات الاجتماعية، وإنما يجب تعزيزه بنموذج أخلاقي قائم على الاعتراف وهذا يعني أنّ الأفراد والجماعات تتنازع و تتصارع ليس فقط على أساس المصلحة والمنفعة، وإنما على أسس أخلاقية أخرى، ومنها بوجه خاص ما يتصل بالتجارب الأخلاقية الخاصة بالمهانة والاحتقار والإذلال، أو تجارب الظلم وأن ممارسات الإكراه والإذلال يمكن أن تصل إلى حد الإقصاء والإبعاد والحرمان من الحقوق، ويمكن أن تتحول إلى بواعث وأسباب لصراع الأفراد والجماعات من أجل حقوقهم، ومن أجل تشكيل هوية إيجابية حول أنفسهم، ومن أجل أن يحصلوا على الاحترام والتقدير اللائقين والمناسبين من قبل الآخرين[1]، ولعل ما نؤكد عليه في الأخير هو أن مسألة الاعتراف لا تنفصل عن سؤال الهوية، فالجميع يتطلع إلى أن تحظي هويته بالاعتراف، فالذات لا تتميز انطلاق من الانفصال عن الأخر وإنما عبر العلاقة معه.

[1] عبد السلام بن عبد العالي: **الهوية ومسارات الاعتراف**، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، العدد الرابع، 2014،ص17.

خلاصة:

تواجهه الإنية الجزائرية العديد من التحديات والتي تهدد الهوية بالانشطار والتشظي إلى جزيئات وإلى أقليات لا تجمع بينها أية روابط أو ضوابط، فمن جملة هذه التهديدات اقتصرنا هذا الفصل في على ابداء رأي **مولود قاسم** في قضية هامة ومحورية في مصير الأمة وهي قضية الأصالة والمعاصرة، كأحدي التحديات التي إن لم نتعامل معها بشكل عقلاني انصهرت هويتنا وغابت خصوصيتنا، بإضافة إلى عائق أخر لا يقل خطورة عن الأول وهو الغزو الثقافي الذي تقوده العولمة والذي يهدف إلى نشر قيم وسلوكيات وأيدولوجيات تحكم الإنسانية جمعاء، رغم أن هذه التهديدات هي تهديدات خارجية يمكن التحكم بها إذا كان الوعي الإنساني سليما لدي الفرد الجزائري، حتي يستغل ما يأتيه من الخارج في إبراز الذات إلى الوجود والمساهمة في الحضارة الإنسانية، أما التهديد الداخلي فهو أشد وطئه من الأول لأنه ينخر في جسم الأمة ولا يبقي لها محال للحاق بالركب، فبدل من أن يكون هناك اتحاد وتعاون لصنع الحضارة، نجد غير ذلك، إذن المخرج الوحيد لهذه الأزمة هو ما قال به فيلسوف صاحب فلسفة الاعتراف **أكسل هونيث**، لذا وجب أن نعترف ببعضنا بعضا وأن نترك تلك الخلافات السخيفة جانبا، لأنه لا مجال لتعويض لمن فاته ركب الحضارة الإنسانية.

خاتمـــــــة

خاتمة:

في ختام هذا البحث الذي كني بموضوع "**الإنية الجزائرية عند مولود قاسم نايت بلقاسم**"، هذه الإنية التي عبر عنها في تصور لخصه في عبارته الشهيرة: "**على الإنسان أن يكون ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ودون أن يصبح نسخة لغيره**"، والتي يقصد ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، التي تقوم على مرتكزات أساسية متكاملة ومتناسقة لا يقوم الواحد منها غلا في وجود الأخر والتي هي: الدين الإسلامي الذي يمثل الاتصال بالمطلق واللامتناهي و الذي يمثل الغذاء الروحي لكل أفراد الأمة الإسلامية على وجهة العموم والأمو الجزائرية على وجهة الخصوص، كما تقوم هذه الإنية على أساس أخر لا يقل أهمية عن سابقة وهو التاريخ المشترك لأفراد المجتمع الجزائري والذي يعد همزة الوصل بين الأجيال، والذي منه تستفيد الأمة في تدارك الأخطاء والانطلاق نحو المستقبل الواعد، بإضافة إلى عامل اللغة العربية التي تعد لسلن الأمة الجزائرية، ودون أن ننسى حب الوطن الذي دائما ما قورن الإيمان، حتي قيل "**حب الوطن من الإيمان**"، هذا الحب الذي يترجمه العمل والانتاج فالإنية هي وعي يرافقه العلم والعمل،

ومن خلال دراستنا لأفكار مولود قاسم نايت بلقاسم وبعد تحليل مضامينها وإسقاطها على الوضع الراهن للهوية الجزائرية نخلص إلى مجموعة من النتائج:

أولا: إن ما يميز الهوية هو الوعي الذي يؤدي بنا إلى إدراك هويتنا الشخصية من حيث الانتماء الاجتماعي أو الثقافي، التي يستمد منها– أي المجتمع– اختلافاته و تميزانه عن المجتمعات الأخر والهوية الثقافية تشمل كل ما هو مشترك بين جميع أفراد المجتمع دون أن يفقد الشيء خصوصيته وتفرده رغم ما يتخلل الجزائر من تنوع ثقافي متعدد، لهذا وجب الاستفادة من هذا التنوع الثقافي، والجعل منه تنوع للإثراء والتقدم، لا تنوع تشرذم وتقطع.

ثانيا: إن أية نهضة لا بد أن تنطلق من التراث الثقافي الوطني فالإنسان لا يبدع إلا داخل ثقافته وانطلاقا من تراثه.

ثالثا: إن الثقافة الوطنية كما شكلت تاريخنا الذي هو مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية، وعنصر أساسي للوحدة الوطنية، إلا أن هذه الوحدة لا تعني قط فرض نمط قيمي وثقافي على الأنماط الثقافية الأخرى المتعددة والمتعايشة عبر تاريخنا الطويل.

رابعا: إن التنوع الثقافي في الوطن الجزائري واقع أساسي لا يجوز القفز عليه، بل بالعكس لا بد من توظيفه بوعي في ما يخدم الثقافة الوطنية الجزائرية.

خامسا: إن ظاهرة الغزوا الثقافي تقوم على البرمجة والتخطيط الذي يستهدف العقول والوجدان والقيم والأذواق وحتي السلوك، ولكن مكمن الخطورة لا يرجع فقط إلى تعميم تصورات وقيم أخلاقية وأنماط سلوكية معينه، بل مكمن الخطورة هو أن عملية التعميم هذه ستكون شاملة وكاسحة لا تخضع لأية رقابة ودون أن توضع في سلم القيم والحكم على ما تنطوي عليه من قيم الخير والشر.

سادسا: إن ما تستهدفه العولمة أولا وقبل كل شيء هو محو كل أثر للخصوصية والمقومات الأساسية للشخصية من قيم وسلوكيات وأذواق، وهو الأمر الذي ينعكس سلبا ومباشرة على وعي الفرد الجزائري بثقافته التي تمنحه جنسيته وخصوصيته.

ولكي نستطيع أن نكون لأنفسنا صورة عما ستكون عليه هويتنا الوطنية مستقبلا، ففي هذه الحالة إن نحن استحضرنا في أذهاننا مدي خطورة ما نتعرض إلية من انحلال وذوبان في الأخر نتيجة التأثر بمغريات الحضارة الغربية والتي لها أثر مباشر على الذات الجزائرية سواء في طريقة تفكيرها وسلوكها وفي قيمها وأيضا في لغتها ومعتقداتها.

ولكن بعد كل هذا هل سنحتاج إلى تأكيد القول بأن هويتنا وكينونيتنا المستقبلية بأنها ستبقي مهددة دائما وذلك بسبب موقعنا الاستراتيجي وثروتنا النفطية؟ بإضافة إلى كوننا مجتمع استهلاكي بالدرجة الأولى، كما أن الوضع الراهن لثقافتنا هو وضع مترهل ومزري، لا يمكن أن يصمد أمام مثل هذا الغزوا، بل هو قابل وفاتح الأبواب والنوافذ بل ومستعد إن لزم الأمر إزالة السقوف من أجل مغريات الحضارة الغربية كما بينا سلفا.

وفي الأخير هناك العديد من الأسئلة تبقي قابلة للإثراء بالمناقشة والمعالجة مستقبلا، في ظل ما يتخلل العالم اليوم من تطور تكنولوجي رهيب واختراق ثقافي مباشر لثقافات الشعوب والأمم، ومن جملة هذه الأسئلة نقول: من نكون؟ وماذا نريد أن نكون؟ أي ما هويتنا سواء سلكنا سبيل التقدم أو سبيل الأصالة؟.

كما أن سؤال الهوية يظل معلقا بين الثنائيات والمتناقضات، والتي على رأسها: العروبة/الإسلام، الدين/الدولة، الأصالة/ المعاصرة، الوحدة/ التجزئة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا– المصادر:

1. قاسم نايت بلقاسم مولود: **أصالية أم انفصالية؟**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
2. قاسم نايت بلقاسم مولود: **أصالية أم انفصالية؟**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991.
3. قاسم نايت بلقاسم مولود: **إنية وأَصالة**، الأمة الجزائر 2013.
4. قاسم نايت بلقاسم مولود: **ردود الفعل الاولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر**، دار الأمة، الجزائر 2007.
5. قاسم نايت بلقاسم مولود: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج1، دار الأمة الجزائر، 2008.
6. قاسم نايت بلقاسم مولود: **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830**، ج2، دار الأمة الجزائر، 2008.

ثانيا– المراجع:

1. أسعد وطفة علي: **الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي والثقافة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003.
2. أمين عثمان: **محاولات فلسفية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1953.
3. بكار عبد الكريم: **العولمة**، دار الإعلام، عمان، 2002.
4. بن إبراهيم الطيب: **الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه في الجزائر**، دار ثالة، الجزائر، 2009.
5. بن خدة بن يوسف: **شهادات ومواقف**، ط2، دار نعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2001.
6. بن نعمان أحمد: **التعريب بين المبتدأ والتطبيق**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
7. بن نعمان أحمد: **الجهاد وثورة الاستقلال**، دار البعث، الجزائر، 1982.
8. بن نعمان أحمد: **الهوية الحقائق والمغالطات**، دار الأمة، الجزائر، 1996.
9. بن نعمان أحمد: **تأملات ومواقف**، دار النعمان، الجزائر، 2015.
10. بن نعمان أحمد: **مصير وحدة الجزائر بين أمانة الشهداء والخيانة الخفراء**، دار الأمة، الجزائر، 2005.

11. بن نعمان أحمد: **مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثاره، شهادات ومواقف**، دار الأمة، ط2، الجزائر، 1997.

12. بوزيد أحمد: **اللغة والهوية**، مجلة العربي، العدد293، وزارة أعلام الكويت، 1983.

13. بوعزيز يحي: **أعلام الفكر والثقافة**، ج1، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1995.

14. بيتر مارتن هانس ، شومان هارولد: **فخ العولمة** سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998.

15. توفيق مدني أحمد: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.

16. جوزيف جون: **اللغة والهوية**، ترجمة، عبد النور خراقي، المجاس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2007.

17. الحمد تركي: **الثقافة العربية في عصر العولمة**، دار الساقي، 1999.

18. حنفي حسن: **الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية**، منشورات الجامعة، الأردن، 1999.

19. حنفي حسن: **فخته فيلسوف المقاومة**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

20. ديغول شارل: **مذكرات الأمل**، منشورات عويدات، بيروت، د ت.

21. روديني دولتر: **أوربا والتخلف في افريقيا** ترجمة أحمد صقر، مراجعة إبراهيم عثمان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب بالكويت 1988.

22. سالم فاطمة الزهراء: **نحو هوية عربية إسلامية**، دار العالم العربي، القاهرة، 2008.

23. العربي ولد خليفة محمد: **مسألة الثقافة وقضايا اللسان والهوية**، ديوان المطبوعات الجامعية ومنشورات ثالة، الجزائر، 2003.

24. عطية نوال: **علم النفس اللغوي**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1975.

25. غلاب عبد الكريم: **التعريب ودوره في تدعيم حركات التحرر في المغرب العربي**، بيروت، 1982.

26. لبيض سالم: **الهوية الاسلام، العروبة التونسية**، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009.

27. محمد مكتبي نذير: **الفصحي في مواجهة التحديات**، دار البشائر الإسلامية للنشر والتوزيع، بيروت، 1997.

28. معلوف أمين: **الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة**، ترجمة نبيل محسن، وردر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999.

29. موران إدغار: **النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية**، ترجمة، هناء صبحي، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 2009.

30. موران إدغار: **هل نسير الى الهاوية؟**، عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.

31. الميلي محمد: **ابن باديس وعروبة الجزائر**، الطباعة الشعبية للمجلس، الجزائر، 2007.

32. نوري مسيهر العاني خليل: **الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية**، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، 2009.

33. يوسف الحاج كمال: **فلسفة اللغة**، دار النهار للنشر، بيروت، 1978.

ثالثا– الرسائل الجامعية:

1. تاحي إسماعيل: **مولود قاسم نايت بلقاسم نضاله السياسي ونظرته للهوية الوطنية**، مذكرة ماجيستر في التاريخ، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2007.

2. مناصريه ميمون: **هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة**، مذكرة دكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر، الجزائر، 2012.

رابعا– المجلات:

1. أسعد وطفة علي: **صدام الهوية والعولمة**، مجلة أراء، مركز الخليج للأبحاث، العدد 71، أوت 2010.

2. الأول، الجزائر، 2011.

3. بن عبد العالي عبد السلام: **الهوية ومسارات الاعتراف**، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، العدد الرابع، 2014.

4. بوزيد أحمد: **اللغة والهوية**، مجلة العربي، العدد293، وزارة أعلام الكويت، 1983.

5. عسوس عمر: **أزمة الهوية لدي البربر في الجزائر**، دراسات عربية، العدد 21، بيروت، د.ت.

6. مريوش أحمد: **أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس**، التربية والابستمولوجيا، العدد 1، الجزائر، 2011.

7. ناشف أحمد: **لغة التعليم في الجزائر في ظل مجتمع المعرفة**، مجلة التربية والابستمولوجيا، العدد1، الجزائر، 2011.

خامسا– المؤتمرات والملتقيات:

1. بو السكك عبد الغني: **راهنية الهوية عند مولود قاسم، أشغال الملتقى الوطني الثاني، الكتابة الفلسفية في الجزائر الواقع والآفاق**، منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، باتنة، الجزائر، 2015.
2. الصابوني محمد: **محاضرات الملتقي الفكر الإسلامي التاسع عشر، ج2**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1985.
3. الملتقي الوطني لتكريم المفكر المرحوم الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، المجلس الإسلامي الأعلى، 2006.
4. هونكه سيغريد: **من الاستيلاب الى استرجاع الإنية، ملتقي الفكر الإسلامي الأول**، الجزائر، 1976.

سادسا– المعاجم والموسوعات:

1. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: **لسان العرب**، المجلد6، دار المعارف، القاهرة، (د ت).
2. الجرجاني علي بن محمد السيد الشريف: **معجم التعريفات**، دار الفضيلة، القاهرة، (د ت).
3. صليبا جميل: **المعجم الفلسفي**،ج2، الشركة العالمية للكتاب، 1994.
4. عبد الفتاح عبد الكافي إسماعيل: **معجم مصطلحات عصر العولمة**، WWW.kotobanabia.com، تاريخ الدخول: 12-04-2016.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
الإهداء	
مقدمة.....	أ– د
الفصل الأول: التطورات الفكرية لمولود قاسم.....	**6**
تمهيد.....	**6**
المبحث الأول: مولد مولود قاسم نايت بلقاسم ونشأته وتعليمه.....	**6**
المولد والنشأة.....	**6**
تعليمه.....	**7**
المبحث الثاني: نضاله ومساهمته في الدولة الوطنية(سياسيا وثقافيا).....	**12**
نضاله السياسي.....	**12**
نضاله الثقافي.....	**18**
التعليم الأصلي.....	**20**
ملتقيات الفكر الإسلامي.....	**21**
التعريب.....	**23**
المبحث الثالث: الأصول الفلسفية لفكر مولود قاسم.....	**24**
المرجعيات العربية.....	**25**
المرجعيات الغربية.....	**31**
الفصل الثاني: مقومات الهوية الوطنية عند مولود قاسم.....	**39**
تمهيد.....	**39**

التحديد اللغوي لمفهوم الهوية..... 39
التحديد الإصطلاحي..... 41
المبحث الأول: الدين الإسلامي رمز الهوية الوطنية..... 44
الدين الإسلامي رمز الهوية الوطنية..... 46
الإسلام رمز الإنية الجزائرية..... 47
دور الدين في الوقوف ضد الحملات الصليبية..... 49
الإسلام دافع التحرر والاستقلال..... 54
نظرة مولود قاسم للدين الإسلامي..... 56
المبحث الثاني: اللغة العربية صورة الهوية الوطنية..... 60
اللغة العربية والهوية الوطنية..... 60
قيمة اللغة العربية..... 64
خصائص اللغة العربية..... 66
موقف مولود من الفرانكفونيين..... 69
المبحث الثالث: التاريخ المشترك للإنية الجزائرية..... 71
التاريخ والهوية الوطنية..... 71
الرد الفصيح على من أنكر التاريخ..... 76
أهمية كتابة التاريخ..... 79
المبحث الرابع: حب الوطن..... 82
حب الوطن..... 82
خلاصة..... 88
الفصل الثالث: تحديات الهوية المعاصرة..... 90

تمهيد..... 90
المبحث الأول: الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية..... 90
موقف مولود من أنصار الانفتاح والعالمية..... 92
موقف مولود من دعاة الأصالة والمحافظة..... 94
موقف مولود من الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية..... 96
المبحث الثاني: تحديات الهوية المعاصرة(الغزو الثقافي والعولمة)..... 100
وظيفة الهوية في حياة الأمة..... 101
تحديات التي تواجه الهوية الوطنية..... 103
الغزو الثقافي..... 103
العولمة والهوية..... 106
المبحث الثالث: تحديات الهوية في ظل التنوع الثقافي..... 111
التكامل التاريخي بين الأمازيغ والعرب..... 112
ملامح الأزمة الثقافية..... 116
خلاصة..... 120
الخاتمة..... 122
المصادر والمراجع..... 126
فهرس الموضوعات..... 131

بحمد الله

ملخص الدراسة:

هذا البحث الذي كني بموضوع "**الإنية الجزائرية عند مولود قاسم نايت بلقاسم**"، الإنية التي عبر عنها في تصور لخصه في عبارته الشهيرة" **على الإنسان أن يكون ابن عصره مع البقاء على أديم مصره ودون أن يصبح نسخة لغيره**"، والتي يقصد ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، إذ تقوم على مرتكزات أساسية متكاملة ومتناسقة لا يقوم الواحد منها في غياب الأخر هي: الدين الإسلامي الذي يمثل الاتصال بالمطلق واللامتناهي فهو الغذاء الروحي لكل أفراد الأمة الإسلامية عامة والأمة الجزائرية خاصة، بإضافة إلى أساس أخر لا يقل أهمية عن سابقه وهو التاريخ المشترك لأفراد المجتمع الجزائري، الذي يعد همزة الوصل بين الأجيال، بإضافة إلى اللغة العربية التي تعد لسان الأمة الجزائرية، فهي تمثل الانتماء الى الأمة العربية الإسلامية، ودون أن ننسى حب الوطن الذي قيل فيه "**حب الوطن من الإيمان**"، هذا الحب الذي يترجمه العمل لا شعار فقط يرفع، فالإنية هي وعي يرافقه العلم والعمل كما عبر عنها **مولود** في قوله" **عملنا شرط علمنا**"، فكل نهضة لا بد أن تنطلق من التراث الثقافي الوطني فالإنسان لا يبدع إلا داخل ثقافته وانطلاقا من تراثه.

كما أن الثقافة الوطنية كما شكلت تاريخنا الذي هو مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية وعنصر أساسي للوحدة الوطنية، إلا أن هذه الوحدة لا تعني قط فرض نمط قيمي وثقافي على الأنماط الثقافية الأخرى المتعددة والمتعايشة عبر تاريخنا الطويل. لهذا وجب الاستفادة من هذا التنوع الثقافي، والجعل منه تنوع للإثراء والتقدم، لا تنوع تشرذم وتقطع، فكل حسب خصوصياته وعاداته، لكن في ظل وحدة وطنية تجمع الكل تحت راية واحدة هي الوطن والإسلام والعروبة.

إذن فإشكالية الهوية تتمحور بين الثابت والمطلق وبين الانغلاق والانفتاح وبين الخصوصية والكونية وبعيدا عن مفاهيم وطروحات الهوية المغلقة، نسعى إلى هوية منفتحة خالية من أي إيديولوجية دينية أو عرقية أو تاريخية أو قومية أو غيرها، في مقاربة شمولية لمسألة الهوية بمفهومها الإنساني الكوني العالمي، وفي رهانات هوية إنسانية تسعى إلى تقبل الأخر فتتفاعل معه في نظرته إلى الحياة والجمال والإبداع والوجود.